

المَدْرَسَةُ النَّصْرِيَّةُ بِغَرْنَاطَةِ

ذ. رشيد العفاقي *



صورة عتيقة
لواجهة المدرسة النصرية

هذا بحث في تاريخ المدرسة النصرية بغرناطة والتي تعرف أيضا بالمدرسة اليوسفية¹، نسبة إلى مؤسسها سابع ملوك بني نصر أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف ابن نصر الأنصاري الخزرجي (734هـ - 755هـ). وقيل أن نتقدّم بعرض تفاصيل هذا التاريخ الممتع والطويل نود أن نمهد لهذه الدراسة بمقدمة موجزة في تاريخ المدارس بالمغرب والأندلس.

يذكر ابن خلكان أن أبا علي الحسن بن علي بن اسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي «هو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس، وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة 457هـ»². وقد عرفت هذه المدرسة الشرقية باسم «النظامية» نسبة إلى مؤسسها نظام الملك المذكور، وقد أجمع المؤرخون على أنها «أولى مدارس الإسلام»³، وقد قرأنا عند بعض المؤرخين المغاربة كلاما فهمنا منه أن الغرب الإسلامي عرف المدارس في العهد الذي ظهرت فيه النظامية، يذكر ابن فرحون المتوفى عام 799هـ أن أبا علي الحسين ابن محمد بن فيرة الصدي في السرقسطي المعروف بابن سكرة المتوفى عام 514هـ رحل إلى المشرق وتعلم على عدد من الشيوخ «ثم عاد إلى الأندلس، واستقر بمدرسة مرسية، ورحل إليه الناس»⁴.

وقد وضع من هذا الكلام أن «المدرسة» وجدت بالأندلس في العهد التي ظهرت بالمشرق، لكننا سنعرف من ترجمة العالم المذكور عند ابن بشكوال المتوفى عام 578هـ أن المؤسسة المشار إليها في كلام ابن فرحون ليست مدرسة، وأن أبا علي الصدي في «وصل إلى الأندلس في صفر من سنة 490هـ، وقصد مرسية وقعد يحدث الناس بجامعها»⁵ ولم يقل مدرستها. ولا يشير ابن بشكوال ولا غيره من مؤرخي الحياة العلمية بالأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجريين إلى وجود مدرسة بها، فابن فرحون الذي ينتمي إلى عهد المدارس كان يسمي الأشياء بأسماء وقته ويرى الأمور بمنظار عصره.

أما في العدة المغربية، فقد ذهب الشيخ عبد الله كنون -رحمة الله عليه- إلى أن المغرب عرف المدارس في عصر المرابطين (القرن الخامس الهجري) ومثل بمدرسة الصابرين بفاس، وبناء على ذلك خلص إلى الآتي: «والغريب هو أن يتوافق المغرب والمشرق في وقت إنشاء المدارس، لأن هذا التاريخ هو الذي أنشأ فيه الوزير نظام الملك مدرسته العلمية ببغداد وهي أول مدرسة في الشرق كذلك»⁶.

وقد يكون لبعض المؤرخين مُستند في أمر وجود المدارس

بالمغرب في ذلك التاريخ لما يعطوا كشاهد على ذلك دار المرابطين بالسوس، فقد ذكر ابن الزيات التادلي أن واجاج ابن زلو اللطفي «رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي [ت. 430هـ] ثم عاد إلى السوس فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن»⁷. وبحسب الفقيه المنوني رحمه الله فإن هذه الدار هي أول مدرسة بالمغرب⁸.

قد لا يكون كلام هؤلاء السادة العلماء بعيداً عن جادة الصواب غير أن الضبط يقتضي القول بأن المؤسسات المذكورة هي في الحقيقة مباني تأوي الطلبة ويتم فيها تدريس العلم، وهذا وإن كان هو عينه وظيفه المدرسة إلا أننا لم نجد من وسم مثل هذه المؤسسات بالمدرسة في كتبنا التاريخية المغربية إلا كتاب القرن السابع الهجري ومن جاء بعدهم.

وتروي كتب التاريخ أن أبا الحسن علي بن محمد الغافقي المعروف بالشاري هو أول من بنى مدرسة بالمغرب، وكان ذلك بمدينة سبتة سنة 635هـ. عرفت هذه المدرسة بالشارية نسبة إلى مؤسسها، وقد وجدنا من شبهها بالنظامية، وفي ذلك إشارة إلى أنها أول مدرسة بالمغرب كما كانت النظامية أول مدرسة بالمشرق، قال الشاعر الأديب أبو الحسن بن اسماعيل ابن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الأغماتي في البيت الحادي عشر من قصيدته التي هنا بها صاحب المدرسة:

نسخت بها حسن النظامية التي

أغار صداها في البلاد وأنجدا⁹

وفي هذا العصر ظهرت مدرسة موحدية بمراكش حسبما ورد في تقييد مؤرخ بعام 658هـ¹⁰. أما المرينيون فإن إسهامهم في بناء المدارس قد فاق أسهم جميع دول الغرب الإسلامي التي سبقتهم والتي جاءت بعدهم، وبلغوا في الولع بتشييدها والعناية بزخرفتها وتنميقها قدرا عظيما، وحسبنا أن نذكر أنهم أسسوا ما يزيد على عشرين مدرسة.

أما في الأندلس فإن ابن سعيد القلعي (ت. 673هـ) يذكر أن الأندلسيين كانوا أحرص الناس على التميز إما بعلم وإما بصناعة، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يُشار إليه ويُحال عليه «ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة»¹¹.

والملاحظ تأخر بناء المدارس في الأندلس بالنسبة للمغرب، ولكن الكلام الذي قرره ابن سعيد فيما سبق سوف تتقضي مدة صلاحيته في عصر بني نصر، وذلك لما شيدت أول مدرسة بالأندلس وتحديدا بمدينة مالقة سنة 740هـ، أما مؤسسها فهو أبو عبد الله الساحلي¹²، وهي مدرسة خاصة،

ولعلّه لهذا السبب لم تشتهر كثيرا. أما على المستوى الرسمي فإن مدرسة غرناطة التي شيدها يوسف بن نصر عام 750 هـ هي التي سيكون لها صيت كبير في الأوساط العلمية والأدبية بالأندلس، فقد قصدها عددٌ

كبير من طلبة العلم وتولّى الإقراء بها علماء أجلاء. ويمكن القول إن النصريين بالأندلس تبعوا المرينيين فبنوا مدرسة بغرناطة واعتنوا بها غاية العناية لا من حيث القيمة العلمية فحسب ولكن أيضا من حيث ضخامة المبنى وجماليته حتى صارت المدرسة دالة على شموخ الملك.

ونشير في ختام هذا التقديم

الموجز أن قضية المدارس بالغرب الإسلامي أثارت العديد من ردود الفعل، إذ لم يكن ظهورها مقبولا لدى طائفة من العلماء، في حين كانت محلّ ترحيب من قبل طائفة أخرى، ليس هنا محلّ تفصيل ذلك، ولكن خلاصة ما انتهى إليه الأمر -على المستوى الرسمي- هو أن المدارس المرينية بالمغرب أقلّ نجمها بعد زوال حكم المرينيين الذين أسسوها ورعوها حق الرعاية، وأن مدرسة غرناطة بالأندلس تغيّر وجهها بالكامل بعد أن احتلها النصاري. ولعلّ كل مدرسة من مدارس المغرب والأندلس تستحق أن يُفرد لتاريخها كتاب مستقل، ولعلّ المادة التاريخية قد تُسعف في بعضها، وقد لا تُفيد عن البعض الآخر إلا بقدر قليل من المعلومات، في حين تتعدم الإفادات عن تاريخ بعض المدارس. ونحن بدأنا -قبل مُدّة- بمحاولة جمع كل ما وصلت إليه أيدينا من موادّ تاريخية عن عدد من هذه المدارس، وسبق أن نشرنا بعض الأجزاء من هذا المشروع، وثمة أجزاء لم يسبق أن نُشرت من قبل مثل هذه الدّراسة التي خصّصناها لتاريخ المدرسة النصّرية بغرناطة.

الفصل الأول: تاريخ المدرسة أيام الحكم الإسلامي

1 - تأسيس المدرسة النصّرية بغرناطة

تُعرف المدرسة النصّرية بغرناطة بالمدرسة اليوسفية¹³، نسبةً إلى مؤسسها أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف ابن نصر الأنصاري الخزرجي (734هـ-755هـ). قال ابن الخطيب في ترجمة هذا السلطان النصّري: «وفي أيامه بُنيت المدرسة العجيبة بكر المدارس في حضرته، فتمّت وكملت أوقافها»¹⁴.

وعلى ما يبدو فإنّ الأمر ببناء المدرسة صدر من السلطان، أما المبادرة إلى ذلك فإننا سنعرف -من طريق ابن الخطيب دائما- أنها كانت من حاجبه رضوان النصري الرّومي الأصل، قال مُعددا آثار هذا الحاجب:

«أحدث المدرسة بغرناطة، ولم

تكن بها بعد، وسبّب إليها الفوائد، ووقف عليها الرّباع المغلّة، وانفرد بمنقبها، فجاءت نسيجة وحدها بهجة وصدرا وظرفا وفخامة، وجلب الماء الكثير إليها من النهر، فأبد سقيه عليها»¹⁵. والحاجب

رضوان المذكور: من عائلة قشتالية

سكنت قلصادة قلعة رباح، اتصل

بالأمراء النصريين وأسلم في

عهدهم ودخل في خدمتهم ونال لديهم حظوة كبيرة¹⁶.

2. نقوش عربية على جدران المدرسة النصّرية

وقد بُنيت المدرسة على أرقى طراز وأفخم بناء، وتفنّنت يد المعلمين والصّناع الأندلسيين في زخرفة جدرانها وسقوفها وأرضيتها بأبدع النقوش في الجص والرخام والخشب. ولما كمل بناء المدرسة نُقش على بابها النصّ الآتي:

«أمر ببناء هذه الدار للعلم، جعلها الله استقامة ونورا وأدامها في علوم الدين على الأيام، أمير المسلمين أظله الله بعونه العليّ الشهير الكريم السعيد الطاهر الرفيع الهمام السلطان المؤيّد أبو الحجاج يوسف ابن العليّ الكريم الكبير الخطير الشهير المجاهد الفاضل العادل المقدس الأَرْضى أمير المسلمين وناصر الدين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر كافي الله في الإسلام صنائعه الزاكية وتقبل أعماله الجهادية وتم في شهر محرم عام خمسين وسبعمائة»¹⁷.

واستنادا إلى ما كتبه أنطونيو كارديناس في مؤلّفه: «دراسة حول الكتابات العربية بغرناطة»¹⁸، ومُعاينة لما تَبَقَّى من اللوحات الرّخامية للمدرسة المعروضة اليوم في متحف بلدية غرناطة¹⁹، نَعرِف أنه بعد بناء المدرسة نُقشت على جدرانها عدد من الآيات القرآنية، منها: ﴿إِنَّا بَنَيْنَاكَ بَنَاتًا مَّبِينًا﴾ وَيَغْيِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾²⁰.

وفي بعض القطع الرخامية التي كانت تزيّن مبنى المدرسة نقرأ بعدد «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم» هذه الآيات النّيرات من أول سورة النور: ﴿اللَّهُ نُورُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلَ نُورِهِ، كَمِشْكَوَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْبَصَابُ
فِي رُجَاجَةٍ إِرْجَاجَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ ذُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ
أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٥١﴾ لِيَجْزِيََهُمُ
اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ يَزِرُّ مَنْ يَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ^١.

ومما نُقش على الألواح الرخامية بالمدرسة: بسم الله الرحمن
الرحيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦١﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ^٢.

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَادِعُ عَوَى
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^٣.
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ^٤.

ومما نلقاه مكتوباً على بعض جدرانها، هذه العبارات: «صدق
الله العظيم ورسوله النبي الكريم». ومما نُقش في الزوايا
الأربعة للصحن: «الحمد لله على نعمة الإسلام». وثمة على
حيطان المدرسة أشرطة كُتب فيها نقشاً: «يا ثقتي يا أُملي، أنت
الرجاء أنت الولي، أختم بخير عملي».

ومن العبارات المتكررة التي نقرأها على جدران المدرسة
شعار بني نصر: «ولا غالب إلا الله». والعبارات الآتية: «الملك
لله وحده». «الحمد لله». «القدرة لله». «البقاء لله». «العزة
لله». «العظمة لله وحده». «الغبطة المتصلة». «العلم لله».

«صدق الله العظيم ورسوله النبي الكريم».

وقد أثبت أنطونيوكرديناس في كتابه المذكور نصاً به اضطراب
شديد لم نستطع تقويمه، وقال إنه كان منقوشاً في أحد جدران
المدرسة، وهذه صورته: «اذ الانسان وقف بالله يخرج به من
الدنيا ويهديه صراط السلم ويدخله إلى مدرسة فيها مستقيمة
وعلم وقتال يأبى الانسان حطك شديدا بحافظك هو حفظك
وإذا تحفظه كريما فإنك كريم» ^٥.

وعلى الرغم من هذا الاضطراب يمكن أن نفهم أن الأصل



الذي نُقل منه أو تُرجم عنه هذا النص كان كُله إشادة
بالمدرسة وتبويها بمكانة العلم السامية. وإلى جانب الآيات
البيّنات المذكورات من كتاب الله العزيز نُقشت أيضاً على
جدران المدرسة العديد من الأشعار، لقد فتّق حدث تأسيس
المدرسة قرائح عدد من شعراء غرناطة لاسيما شعراء البلاط
النصري الذين قالوا شعراً كثيراً في مناسبة فتح المدرسة كان
حظّ بعضه أن يُنقش على جدرانها، قال المقري: «ومن نظم ابن
الجباب ما كُتب على باب المدرسة العلمية بغرناطة:

يا طالب العلم هذا بابه فتحا

فادخل تشاهد سناه لاح شمس ضحى

واشكر مجيرك من حل ومرتحل

إذ قرّب الله من مرمك ما نزحا

وشرفت حضرة الإسلام مدرسة

بها سبيل الهدى والعلم قد وضحا

أعمال يوسف مولانا ونيتة

قد طرزت صفحا ميزانها رجحا ^٦

ومن شعر ابن الخطيب الذي أثبت له المقري في «نفح الطيب»
وقال إنه كان «مكتوباً بالمدرسة التي بناها السلطان أبو الحجاج
ابن نصر رحمه الله تعالى:

ألا هكذا تبني المدارس للعلم

وتبقى عهود المجد ثابتة الرسم

ويقصد وجه الله بالعمل الرضى

وتجنى ثمار العز من شجر العزم

تفاخر منى حضرة الملك كلما

تقدم خصم فى الفخار الى خصم

فأجدى إذا ضن الغمام من الحيا

وأهدى إذا جن الظلام من النجم

فيا ظاعنا للعلم يطلب رحله

كفيت اعتراض البيد أو لجج اليم

بيابى حط الرحل لا تنووجهة

فقد فزت فى حال الإقامة بالغنم

فكم من شهاب فى سمائى ثاقب

ومن هالة دارت على قمر تم

يفيضون من نور مبين إلى هدى

ومن حكمه تجلو القلوب إلى حكم

جزى الله عنى يوسف خير ما جزى

ملوك بنى نصر عن الدين والعلم ^٧

ويُفهم من كلام لابن الخطيب في «الإحاطة» أن النقوش

في ترجمة شيخه إبراهيم بن فتوح المذكور: «وكان إقراؤه بالمدرسة، وهي أنوّه مواضع التدريس بغرناطة -حرسها الله-، وكان تقديمه فيها عن استحقاق من غير طلب منه لذلك...». ثم زاد ما يلي: «وحضرتُ عليه بالمدرسة قراءة كتب متعددة في علوم شتى، وقرأت عليه بلفظي «المقالات» لابن رضوان في المنطق، و«الشمسية» و«رجز ابن سينا» وبعض «رجزه في الطب» و«مختصر ابن رشد» في الأصول، و«جمع الجوامع» وبعض «الكراس» للجزولي وبعض «المقاصد النحوية» وبعض «التسهيل» لابن مالك وبعض «الشامل»...، وقرأت عليه [كتاب] سيبويه في المدرسة بعد العودة إليها، وكان ختمه لسبع مضي من رمضان عام ثمانية وخمسين وثمانمائة»¹¹.

وذكره أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الحميري الأصبحي الغرناطي في «روضة الإعلام»، وقال: «كنت يوماً مع شيخنا العلامة أبي إسحاق ابن فتوح رَحِمَهُ اللهُ بمحل إقراءه من المدرسة اليوسفية بحضرة غرناطة -حرسها الله- وهو يُلقني إليّ كلاماً في مسألة، وإذا ببعض من تقدّم له اشتغال عليه قد أقبل يريد الجلوس إليه، فلما علم الشيخ ذلك قطع كلامه، وأخذ في معنى آخر، فطالبته بالعودة إلى ما كان بسبيله، فأشار إليّ بما فهمت منه أنه يأمرني بالسكوت، فامتثلت ذلك. وأقبلت على سماع ما انتقل إليه، فلما قام ذلك الإنسان قلت له: يا سيدي، رأيتم أشرت عليّ بالسكوت عن الكلام الأول. فقال لي: ذلك الإنسان في عاداته معي، أنه يُذاكرني بما سمع مني، كأنه من عنده، فكرهت أن أصل الكلام فيما كنت أقرّره، لئلا يعمل معي ما أعلم من عاداته، أو معنى ما قال»¹².

3. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد السلمي الجعد الله العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد السلمي الجعد الله، تتلمذ عليه عدد من علماء الأندلس، منهم: أبو جعفر البلوي الوادي أشي، قال في «ثبته»: «قرأت عليه بمجلسه من المدرسة النصرية، جملة وافرة من كتاب «الإيضاح» لأبي علي الفارسي، قراءة كالأولى في التفقه والتفهّم»¹³.

4. أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الخطيب أبو عبد الله محمد بن مرزوق من مشاهير علماء الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري، وله ترجمة في غير ما كتاب. ذكر أبو العباس المقري أن أبا عبد الله محمد بن مرزوق انتقل إلى الأندلس فاحتفى به سلطانها «وأقعد للإقراء بالمدرسة من حضرته»¹⁴. وقد ذكر ابن الخطيب أن ابن مرزوق العجيسي التلمساني، قدم الأندلس مبعوثاً من طرف السلطان أبي الحسن المريني «وأواخر عام ثمانية وأربعين

الكتابية التي رُقمت على جدران المدرسة الغرناطية لم تُنقش في عهد مؤسسها يوسف بن نصر، وإنما نُقشت في عهد خلفه الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر (755هـ-769هـ)، وذلك بإشارة من لسان الدين ابن الخطيب، قال في معرض تعداد مناقب عهد هذا السلطان: «...إلى موافقته إيّاي، وتسويغه ما اخترعته بإذنه، وأجريته بطيب نفسه، من اتخاذ المدرسة والزاوية، وتعيين التربة، مغيراً في ذلك كله على مقاصد الملوك، نقشاً عليه، بطيب اسمه في المزيد، وتخليد في الجدران للذكر، وصوناً للمدافن غير المعتادة، في قلب بلده بالمقاصر والأصونة...»⁸.

3. المدرسون

انْتدب للإقراء بالمدرسة النصرية بغرناطة عدد من علماء الأندلس، ويبدو أنّ تعيينهم كان يصدر عن السلطان، وذلك بمرسوم أو ظهير حسبما جرت به العادة في كل أمر ملكي، ولكننا لم نقف على إشارة في النصوص التاريخية تدل على أن الأمور قد تكون جرت على ذاك النحو، وكل ما عرفناه أن المدرسة تصدر للتدريس بها عدد من العلماء الأجلاء، هذه لائحة بأسمائهم:

1. الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي الكلبي

الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم بن جزي الكلبي، ترجم له ابن الخطيب في «الكتيبة الكامنة» وقال: «خزانة تُنفق الأدب إذا كسد، وتصلح من أدواته ما فسد،... إن ذكر النحو أزرى بحفاظ بصرتة، وسلّ على كافة الكوفيين صوارم نصرته، أو ذكر البيان، أنسى الخبر العيان، إلى مجادة سندها معنعن، وأصالة ليس فيها مطعن، يُعصدها عمّ وخال، ويزين أعلاها وأسفلها خال وخلخال، وهو اليوم بمدرسة الحضرة يُعرب فيُعرب، فيباهي به على المشرق والمغرب، وشعره وإن شغلته عنه شواغل الفنون، مظنة للؤلؤ المكنون، وشاهد لعناية الله تعالى -بالحمأ المسنون...»⁹.

2. أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن فتوح العُقيلي

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن فتوح العُقيلي، ذكره أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي (المتوفى عام 938هـ) في «ثبته»، وقال في معرض الحديث عن شيوخ والده أبي الحسن البلوي: «ومن شيوخه الذين اعتمد عليهم، وتفقه بهم، شيخ الشيوخ في المنقول والمعقول، الأستاذ العالم الأصولي المنطقي الإمام الخطيب المفتي المدرّس بالمدرسة النصرية من الحضرة العلّية أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن فتوح العُقيلي، رحمه الله»¹⁰. وقال القلصادي



وما شاكلها وأبين لكم وجه قصدي إلى التخفيف فيها»، وكان قد أطلعنا على مكتوب بخطه جواباً عن سؤال في يمين أفتى فيها بمراعاة اللفظ والميل إلى جانبه، فنازعناه في ذلك اليوم، وانفصل المجلس على منازعته، فأرانا مسائل في «النهاية»²⁰ و«أحكام ابن الفرس» وغيرهما وبسط لنا فيها بما يقتضي الاعتماد على لفظ الحالف وإن كان فيه خلاف ما لنيته بناء على قول من قال بذلك من أهل المذهب وغيرهم. وقال: «أردت أن أنبهكم على قاعدة في الفتوى وهي نافعة جداً ومعلومة من سنن العلماء وهي أنهم كانوا يشددون على السائل في الواقع إذا جاء مستفتياً».

وكنّت قبل هذا المجلس تترادف عليّ وجوه الإشكالات في أقوال مالك وأصحابه، فلما كان بعد ذلك المجلس شرح الله بنور ذلك الكلام صدي فارتفعت ظلمات تلك الاشكالات دفعة واحدة، لله الحمد على ذلك، ونسأله تعالى أن يجزيه عنا خيراً وجميع معلمينا بفضلته»²¹.

6. أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الخولاني المعروف بابن الفخار وبالبيري

أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الخولاني المعروف بابن الفخار وبالبيري، ذكر ابن الخطيب في ترجمته أنه «تقدّم خطيباً بالجامع الأعظم، وقعد للتدريس بالمدرسة النصرية»²². وذكر ابن حجر العسقلاني في ترجمة ابن الفخار البيري المذكور نقلاً عن ابن الخطيب: «شيخ الجماعة في العربية غير مدافع، جدّد بالأندلس ما كان درس من لسان العرب بعد أبي علي الشلوبين، وكانت له مشاركة في القراءات والفقه والعروض والتفسير، وخطب بالجامع الأعظم وتصدر للتدريس بالمدرسة النصرية، وقُلّ في الأندلس من لم يأخذ عنه، وكان مقتصدًا في أحواله وقورا مفرط الطول نحيفا قليل الدهاء والتّصنع، وكان قرأ التنبيه على الأستاذ أبي إسحاق الغافقي وقرأ على أبي عبد الله بن حريث والشريف الحسيني وأبي القاسم بن الخياط وأبي عبد الله بن رشيد وغيرهم، ومات في ثاني شهر رجب سنة 754هـ»²³.

7. أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي

أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، ذكر ابن الخطيب أنه «قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، فلقى رحبا، وعُرف قدره، فتقدّم مقرئاً بالمدرسة تحت جراية نبيهة، وحلّق للناس متكلمًا على الفروع الفقهية والتفسير»²⁴.

8. أحمد بن علي بن إبراهيم الشّريّ الغافقي

ترجم له ابن الجزري، وقال: «أحمد بن علي بن إبراهيم

وسبعمائة، فاجتذبه سلطانها، رحمه الله، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلّده الخطبة بمسجده في السادس لصفر عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة، وأقعدته للإقراء بالمدرسة من حضرته»¹⁵. أما ابن حجر العسقلاني فيحدّد تاريخ قدوم ابن مرزوق إلى الأندلس بعد نكبة السلطان أبي الحسن المريني، قال: «انتقل ابن مرزوق من البلد فأقام بالأندلس بعد أن كان مقيماً بتملسان... فأكرمه سلطانها وذلك في سنة 752هـ، فقلّده الخطبة وأقعدته للإقراء بالمدرسة»¹⁶.

ومن تلاميذه بالمدرسة الغرناطية أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، قرأ عليه بالمدرسة صحيح البخاري، قال أبو عبد الله المجاري في ترجمة أبي إسحاق الشاطبي المذكور: «ومن شيوخه الشيخ المحدث الراوية أبو عبد الله بن مرزوق: سمع عليه جميع الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله البخاري بقراءة الخطيب أبي عبد الله الحفّار إلا ثلاثة مواضع فإنها فاتته منه، وذلك في مجالس بعضها بالمدرسة النصرية وسائرهما بالجامع الأعظم، وسمع عليه أيضا جميع موطأ مالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى، وذلك بالمدرسة النصرية بالحضرة العلية بقراءة الخطيب المذكور، وأجازه بهما وبجميع ما يحمل إجازة عامة بشرطها»¹⁷.

ومن تلاميذ ابن مرزوق الذين أخذوا عنه بالمدرسة: أبو عبد الله محمد بن علي الشهير بالحفّار آخر المحدثين بالأندلس، ترجم له تلميذه أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت. 862هـ) في «برنامجه» وذكر أنه قرأ عليه «صحيح البخاري»، ثم قال: «حدّثني به عن الشيخ العلامة الرّحال خطيب العدوتين المحدث الحافل شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، قراءة لجميعه عليه، وذلك في مجالس بعضها بالمدرسة النصرية، وسائرهما بالجامع الأعظم من الحضرة العلية»¹⁸.

5. أبو سعيد فرج ابن بُ

أبو سعيد فرج ابن لب، أشهر شيوخ الإفتاء بغرناطة في وقته. ذكر المقري أنه «أقرأ بالمدرسة النصرية»¹⁹. وذكر تلميذه أبو إسحاق الشاطبي في كتابه «الإفادات والإنشادات» حكاية تدلّ على أن المدرسة كانت محلاً للمناظرة والمذاكرة في المسائل العلمية، قال: «إفادة: كنت يوما سائرا مع بعض الأصحاب إذ لقينا شيخنا الأستاذ المشاور أبا سعيد بن لب -أكرمه الله- بقرب المدرسة، فسرنا معه إلى بابها ثم أردنا الانصراف، فدعانا إلى الدخول معه إلى المدرسة، وقال: «أردت أن أطلعكم على بعض مُستنداتي في الفتوى الفلانية

أزوار فئة من العلماء عنها، ووجدنا بعضهم يتوزعون عن التدريس بهذه المدرسة حفاظاً على دينهم واستقلالهم الفكري، نعرف منهم -الآن- إثنان:

الأول هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محارب الصريحي، قال ابن الخطيب في ترجمته أنه من أهل مالقة «دخل غرناطة مرّات، مُتعلِّماً، وطالب حاج، ودُعي إلى الإقراء بمدرستها النّصيرية، عام تسعة وأربعين وسبعمائة، فقدم على الباب السلطاني، واعتذر بما قُبِل فيه عُذره»²⁸.

والثاني هو: أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم الحميري الغرناطي، يُعرف بالشقوري، ترجم له ابن الأثير الجزري، وقال: «مُقرئ كامل صالح، قرأ على أبي الحسن القيجاطي وأبي جعفر بن الزيات، وحجّ فقرأ على أبي حيان ومحمد بن السراج الكاتب، ورجع إلى غرناطة، فأقام منقطعاً بمنزله، وعيّن لمشيخة الإقراء بالمدرسة بغرناطة فامتنع تدنيًا، مات في أواخر سنة ست وخمسين وسبعمائة»²⁹. وذكر ابن حجر في ترجمة الشقوري المذكور -نقلاً عن ابن الخطيب- أنه «استدعى للإقراء بمدرسة السلطان فاستغنى واستمرّ على ما هو سبيله إلى أن مات في أخريات سنة 756 هـ»³⁰.

وكما سبق أن ذكرت في مُقدمة هذا البحث، فقد كانت علاقة العلماء بالمدرسة في الغرب الإسلامي مطبوعة بالنفرة، كما يلاحظ في حالة ابن محارب الصريحي وأبي جعفر الشقوري، بينما كانت مؤسسة المدرسة محل ترحيب لدى عدد من العلماء منهم: أبو إسحاق الشاطبي الذي سبق أن رأينا مُتردداً على المدرسة وقارئاً بها على عدد من شيوخه، وقد أوضح موقفه من المدرسة في كتابه «الاعتصام»، قال في سياق التّمييز بين الرّبط والمدارس:

«أما المدارس: فلم يلقَ بها أمر تعبدي يُقال في مثله بدعة، إلا على فرض أن يكون من السّنة أن يقرأ العلم إلا بالمساجد، وهذا لا يوجد. بل العلم كان في الزمان الأول يبيث بكل مكان من مسجد أو منزل، أو سفر، أو حضر، أو غير ذلك. حتى في الأسواق. فإذا أعد أحد من الناس مدرسة يعني بإعدادها الطلبة، فلا يزيد ذلك على إعدادها له منزلاً من منازلها، أو حائطاً من حوائطها. أو غير ذلك، فأين مدخل البدعة ها هنا؟

وإن قيل: إنّ البدعة في تخصيص ذلك الموضع دون غيره، والتّخصيص ها هنا ليس بتخصيص تعبدي، وإنما هو تعيين بالحسب كما تتعين سائر الأمور المحبسة، وتخصيصها ليس بدعة. فكذلك ما نحن فيه، بخلاف الرّبط. فإن خست

الشّرف في الغافقي، من أهل غرناطة، قرأ على الخطيب أبي إسحاق بن أبي العاص وأبي جعفر بن الزيات، وحجّ فأجازته بمكة العفيف الدلاصي وغيره، ورجع فأقرأ بالمدرسة بغرناطة إلى أن توفّي»²⁵.

9. محمد بن إبراهيم بن محمد السياري الغرناطي المعروف بالبياني

ترجم له ابن الخطيب في «الإحاطة» ترجمة لم يصل إلينا منها إلا ما نقله عنها ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة»، قال: «محمد بن إبراهيم بن محمد السياري الغرناطي، المعروف بالبياني، قال ابن الخطيب: قرأ على أبي جعفر بن الزبير وأبي عبد الله بن رُشيد وأبي الوليد الحضرمي وأبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص وأبي جعفر ابن الزيات وغيرهم وكان حسن الطريقة لين العريكة مفزعا في المشكلات، بليغ الخطبة، يشارك في العربية والأصول والفرائض وغيرها، مات مُدرّساً بالمدرسة النّصيرية في ثامن عشر المحرم سنة 753 هـ»²⁶.

10. يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن هذيل التّجيب الغرناطي أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن هذيل التّجيب الغرناطي، لقّبه ابن حجر العسقلاني بفيلسوف الأندلس، ثم نقل عن ابن الخطيب الغرناطي أنه «قرأ على أبي بكر ابن الفخّار العربية والأدب، وعلى أبي عبد الله بن خميس المنطق والتصوف، و[على] أبي عبد الله الأركشي الطب، وعلى أبي القاسم بن شاطر الأصول، وعلى راشد بن راشد الحساب، وعلى أبي إسحاق البرغواطى الهندسة، وعلى أبي عبد الله ابن الرّقام أكثر هذه العلوم العقلية... وهو خاتمة العلماء في الطب والهندسة والهيئة ونحوها مع الأدب وإمتاع المحاضرة والمجالسة وعموم الفائدة. وكان مؤثراً للخمول، وخدم في آخر عمره باب السلطان بالطب، وقعد في مدرسة يُقرئ الأصول والفرائض والطب، وصنّف «الإيجاز والاعتبار» في الطب، وشرح «كراسة» الإمام فخر الدين في الطب شرحاً غريب المأخذ، وغير ذلك. ومن شعره:

أناديك والأشواق يركض جمراها

بصفحة خدي من دموع سوابق

أبارق ثغر من عذيب رضابـه

فصب مهجتي بين العذيب وبارق

[و] مات في 25 القعدة سنة 753 هـ»²⁷.

وقد وضع من ترجمة هذا العالم أن المدرسة الغرناطية ارتبطت بالسلطان. ولما كانت المدرسة النّصيرية مؤسّسة رسمية، فقد لمسنا -من خلال بعض النّصوص التاريخية-

بالله محمد الخامس ملك غرناطة إلى السلطان أبي عنان ملك المغرب في شأن الشفاعة للفقير محمد بن محمد بن أبي بكر القرشي المقرئ المذكور مؤرخة بالحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام 757 هـ، ومما ذكر له فيها حاكيا عن المقرئ المذكور: «وقعد بحضرتنا يعني غرناطة مستور المنتقى والمنتسب، وسكن بالمدرسة بعض الأماكن المعدة

المدرسة من الأماكن المعدة لسكنى المتسقين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب

لسكنى المتسقين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب»³⁵. وبحسب تقليد معروف، فقد كانت المدرسة محلاً لنسخ الكتب العلمية، وملجأ لهواة هذه الصنعة النبيلة، وقد تكون بعض المنتسخات التي كتبت بالمدرسة موجودة في إحدى الخزائن المغربية إلا أننا لم نقف عليها حتى الآن³⁶.

5. مسجد المدرسة

كانت مدرسة غرناطة -ككل مدارس الغرب الإسلامي- تتوفر على مسجد، تُقام فيه الصلوات المفروضة، لا يزال موضعه من المدرسة معروفاً إلى اليوم، ومحاربه كذلك لا زال على حاله كما كان أول مرة، ولا يزال البيت الذي كان يُستعمل مسجداً مُزيناً بالنقوش الكتابية التي نقرأ فيها: كلمات التوحيد: لا إله إلا الله، والشهادتين: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وشعار بني نصر: (لا غالب إلا الله)، وعبارة: الحمد لله على كل حال. والعظمة لله والبقاء. وغير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة. وقد تولى الإمامة بمسجد مدرسة غرناطة عددٌ من علماء الأندلس، نعرف منهم -الآن- إثنان هما:

1. يوسف بن علي بن عبد الواحد أبو الحجاج السدوري المكناسي قال ابن الجزري في ترجمته: «يوسف بن علي بن عبد الواحد أبو الحجاج السدوري المكناسي، مُقرئ غرناطة، محقق صالح، مُقرئ مُحَدَّث، ويُجَلِّد الكتب في غاية من الحسن، ويقرئ الناس، انتفع به جماعة كثيرون، قرأ على أبي الحسن بن بري صاحب الرجز بقراءة نافع وأبي الحسن علي المجامي، أخبرنا صاحبنا أبو عبد الله محمد بن ميمون البلوي أنه قرأ عليه رجز ابن بري عنه، وقال لي فارقتَه وهو في قيد الحياة سنة سبعين وسبعمئة وله نحو سبعين سنة تقريباً، وقال إنه إمام المدرسة اليوسفية بغرناطة»³⁷.

2. أبو عبد الله محمد بن الجبير

ذكر أبو الحسن علي القلصادي البسطي (ت. 891 هـ) في ترجمة شيخه أبي عبد الله محمد السرقسطي (ت. 865 هـ):

تشبيها بالصفة بهما للتعب، فصارت تعبدياً بالقصد والعرف، حتى إن ساكنيها مباينون لغيرهم في النحلة والمذهب والزِّي والاعتقاد»³¹.

4. المدرسة: بيت الطلبة وسكنى العلماء المتسقين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب.

من المعروف أن المدرسة بالغرب الإسلامي كانت -فضلاً عن محل

لتدريس العلم- مأوى للطلبة الذين يقرأون بها، حسبما تشهد على ذلك النصوص التاريخية ومباني بعض المدارس التي سلمت من الدمار، وفي هذا الصدد تذكر الباحثة راشيل أريي عن مدرسة غرناطة أن التدريس بها تولاها فقهاء أجلاء، وكانت تشتمل على قاعات الدرس، ومسجد، وغُرَف مخصصة لسكنى الطلبة»³². ولا شك أن بيوت المدرسة كانت أيضاً مأوى لبعض العلماء الطارئين على غرناطة والذين كانوا يتولون بعض الوظائف التعليمية، ومن العلماء الذين سكنوا مدرسة غرناطة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المقرئ، ذكر حفيده أبو العباس المقرئ أن جدّه المذكور دخل غرناطة «وسكن بالمدرسة، بعض الأماكن المعدة لسكنى المتسقين بالخير والمحترفين ببضاعة الطلب»³³. وقال في موضع آخر من كتابه «نفح الطيب» إن أبا عبد الله المقرئ «سكن بعض مواضع المدرسة، مُنتقبضاً عن الناس لا يظهر إلا لصلاة يشهد جماعتها، ودعوة للعباد يخاف إضاعتها»³⁴. وقد أثبت ابن الخطيب في «كناسة الدكان» رسالة من السلطان الغني



بيت الصلاة بالمدرسة، وقد نقش على محرابه آيات قرآنية وعبارات باللغة العربية

«ومما رثى به الشيخ (يعني السرقسطي) -رحمة الله عليه- الشيخ الأستاذ اللغوي إمام المدرسة سيدي أبو عبد الله محمد ابن الجبير :

بكتك رسوم الدين يا أوحده العليا

ونورك لما غاب أظلمت الدنيا

..... (قطعة من 5 أبيات)³⁸

ومن الكتابات التي لاتزال تُرى رأي العين إلى اليوم منقوشة في الجص بقاعة مسجد المدرسة :

فوق المحراب، سورة الإخلاص بالخط الكوفي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فُلْهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. وفي جانبها وفوقها شريط يحضنها بثلاث أضلاع، أثبت فيه الآتي:

الشريط العمودي الأيمن، نقرأ فيه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

الشريط الأفقي، وفيه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْبَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾³⁹. وتتم الآية نلقاها في الشريط العمودي الأيسر: ﴿عَسَىٰ ذِكْرُ اللَّهِ وَأَفَامُ الصَّلَاةِ وَإِتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾⁴⁰. وفوقها بأعلى المحراب في وسط شكل زخرفي عبارة: العظمة لله وحده.

وفوق عمودي المحراب كُتبت بشكل مُكرر عبارة : الحمد لله على نعمة الإسلام.

وفي ركن المسجد الأيمن شريط سفلي نقرأ العبارة التي تتكرر في جميع جنبات المبنى وهي شعار بني نصر : ولا غالب إلا الله. وفوقه شريط آخر نُقِشت فيه هذه الآية الكريمة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁴¹.

وفي الركن الأيسر من قاعة المسجد نجد الأشكال والنقوش الكتابية نفسها⁴². وعلى طول الجانب الأيمن والأيسر من بيت مسجد المدرسة، نقرأ هذه الآيات:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أُنْتِلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁴³. وفيه

أيضاً: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ءَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَسْمَعُونَ وَأَعْلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قَبْلَنَا عَذَابُ النَّارِ﴾⁴⁴.

وفوق هذه الآية عبارة : بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليماً.

ومن الكتابات المقروءة في جدار بيت مسجد المدرسة: «... وآمنوا بالله العظيم وبرسوله النبي الكريم، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً»، وغير ذلك من حكيمة الذكر وبديع الأذكار⁴⁵.

6. خزانة المدرسة

كانت مدرسة غرناطة تتوفر على خزانة كُتبت اشتملت على العديد من النفائس والأعلاق، وكان السلاطين والعلماء يُحبسون عدداً من الكتب على خزانة المدرسة لينتفع بها طلبة العلم، وقد أخبرنا أبو العباس المقرئ في «نفح الطيب» أن سلطان الأندلس (محمد التاسع) حبس نسخة من كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» على المدرسة النصرية، وأن الذي كتب رسم الوقفية هو العلامة الحافظ النظار أبو يحيى ابن عاصم⁴⁶، قال:

«ولما وقَّف سلطان الأندلس من كتاب «الإحاطة» نسخة على بعض مدارس غرناطة كتب ابن عاصم حجة الوقفية بخطه، ولتبيتها لما فيها من الفوائد، قال الأديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادي أشي نزيل تلمسان المحروسة: كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال، والفائقة الكمال، من «الإحاطة بتاريخ غرناطة» المحبسة على المدرسة اليوسفية، من الحضرة العلية، بخط قاضي الجماعة، ومنفذ الأحكام الشرعية المطاعة، صدر البلغاء، وعلم العلماء، ووحيد الكبراء، وأصيل الحسباء، الوزير الرئيس المعظم أبي يحيى ابن عاصم -رحمة الله تعالى عليه- ما نصه:

«الحمد لله، الجاعل الاستدلال بالأثر على المؤثر مما سلمه الأعلام، وشهدت به العقول الراجحة والأحلام، وهو الحجة المعتمدة حين تتفاضل الأبواب وتتقاصر الأفهام، وبه الاستمسك إن طرقت الشكوك أو عرضت الأوهام، وحسبك بما يسلم في هذا المقام العالي من الأدلة، وما يعتمد في هذا المجال المتضايق من البراهين المستقلة، فحقيق أن يتلقى هذا النوع من الاستدلال فيما دون الفن المشار إليه بالقبول، ويستنبط المهتدي لاستنباطه لما فيه من التبادر للأفهام



والتسابق للعقول، وإذا ثبت أن المستدل بهذه الأدلة سالك على سواء السبيل، ومُنتم من صِحَّة النظر إلى أكرم قبيل، فلا خفاء أن كتاب «الإحاطة» للشيخ الرئيس ذي الوزارتين أبي عبد الله ابن الخطيب - رحمه الله تعالى - من أثر هذه الدولة النصرية أدامها الله تعالى بكل اعتبار، ومآثرها التي هي عبرة لأولي الألباب وذكرى لذوي الأبصار، أما الأول فلأن الأنباء التي أظهرت بهجتها، وأوضحت حجتها، وشرفت مقصدها، وكرمت مصعدها، إنما هي مناقب ملوكها الكرام، ومكارم خلفائها الأعلام، أو أخبار من اشتملت عليه دولتهم الشريفة من صدور حملة السيوف والأقلام، وأفاد حفظه الدين والدنيا، والشرف والعليا، والملك والإسلام، أو ما يرجع إلى مفاخر حضرة الملك، وينتظم نظم الجمان في ذلك السلك، من حصانة قلعتها، وأصالة منعمتها، وقديم اختطاطها، وكريم جهادها ورباطها، وحسن ترتيبها ووضعها، وما اشتمل عليه من مقاصد الأنس أهل رُبِّها، وما سوى هذه الأقسام الثلاثة فمن قبيل القليل، ومما يرجع إلى شرف الحضرة ممن انتابها من أهل الفضل الواضح والمجد الأثيل، وأما ثانياً فإن راسم آياتها المتلوة، ومبدع محاسنها المجلوة، وناقل صورتها من الفعل إلى القوة، إنما هو حسنة من حسنات هذه الدولة النصرية الكريمة، ونشأة من نشأت جودها الشامل النعمة الهامل الديمة، فما ظهر عليه من كمالات الأوصاف، على الإنصاف، فأخلاف هذه المكارم النصرية أرضعته، وعنايتها الجميلة أَسَمَّتْه فوق الكواكب ورفعته، وإليها ينسب إحسانه إن انتسب، ومن كريم تشريفها اكتسب، والحضرة هي منشؤه الذي عظم فيه قدره، بل أفضَّه الذي أشرف فيه بدره، والتشريفات السلطانية التي فتحت الله بالها، وأحلت من مراقي العز فوق السُّها، وأمكنت الأيدي من الذخائر والأعلاق، وطوّقت المن كالقلائد في الأعناق، وقَدَّتْ الرئاسة والأقلام أقلام، وثنت الوزارة والأعلام أعلام، فبهرت أنواع المحاسن، ووَرَدَ معينُ البلاغة غير المطروق ولا الأسن، وبرعت التواليف في الفنون المتعددة، واشتهرت التصانيف ومنها هذا التصنيف المشار إليه لما له من الأذمة المتأكدة، إذ أظهر هذا الاستدلال، وأوضح البيان ما كتبه الإجمال، فلنفسح الآن بما قصد، ولنحقق من أنجم السعادة ما رصد، وذلك أن لمولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الغالب بالله المؤيد بنصره أبي عبد الله محمد ابن الخلفاء النصريين، أيده الله ونصره، وسنّى له الفتح المبين ويسره، مآثر لم يسبق إليها، ومكارم لم يجز أحد ممن وسم بالكرم عليها، لجلالة قدرها، وضخامة أمرها، من

ذلك هذا المقصد الذي أثير لها كالكتاب المذكور وسواه، مما هو واحد في فنه وفذ في معناه، عَقَدَ في جميعها التحبّيس على أهل العلم والطلبة بحضرته العليا هنالك ليشمل به الإمتاع، ويعم به الانتفاع، والله تعالى ينفع بهذا القصد الكريم، ويتولى المثوبة على هذا العقد الجسيم، وهذه النسخة في اثني عشر سفراً متفقة الخط والعمل، اكتتب هذا على ظهر الأول منها، وبتاريخ رجب الفرد من عام تسعة وعشرين وثمانمائة، عرف الله تعالى بركته بمَنَّهُ⁴⁷.

ومن حُسْنِ حَظِّنا أنَّ بعض الكُتُب التي كانت مُحَبَّسَةً على المدرسة النَّصْرِيَّة بفرنّاطة قد وصلت إلينا، فيما يلي بيان بأسمائها وأماكن وجودها وما سَطَرَ عليها من نُصوص التَّحْبِيس:

- ثلاثة أسفار من كتاب «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الفرناطي (ت. 546هـ): السُّفر السادس، مخطوط خزانة جامع القرويين بفاس (رقم 21)، نقرأ على أول ورقة منه ما يلي: «حُبِسَ على المدرسة بحضرة غرناطة حرسها الله تعالى»⁴⁸. وعلى ظهر أول ورقة من السفر السابع من الكتاب نفسه (مخطوط خزانة جامع القرويين بفاس (رقم: 20)، نقرأ عبارة: «حُبِسَ على المدرسة المباركة بحضرة غرناطة»⁴⁹. وعلى أول ورقة من السفر الثامن نقرأ كذلك: «حُبِسَ على المدرسة بفرنّاطة»⁵⁰.

- كتاب «الفوائد» للحافظ أبي القاسم ابن بشكوال القرطبي (ت. 578هـ)، مخطوطة مكتبة الفاتيكان رقم: 128 BORG.ARABO. نقرأ تحت العنوان، على وجه أول ورقة منه، هذه العبارة: «حُبِسَ على المدرسة المباركة بمدينة غرناطة حرسها الله تعالى وعمرها بذكره بمَنِّه وفضله»⁵¹. ومن طريف ما عثرت عليه أثناء البحث في هذا الباب خبرٌ ذكره علي بن سالم الورداني التونسي (ت. 1333هـ/ 1905م) في «الرحلة الأندلسية» له، فقد اختير الورداني ليكون ضمن البعثة التي أرسلتها «نظارة المعارف العمومية السلطانية» بالأسطانة إلى إسبانيا سنة 1304هـ/ 1887م للاطلاع على بعض ما بها من الآثار العربية والكتب الإسلامية النفيسة، ونقرأ في نصّ «رحلته» أنه وقف بمكتبة الإسكوريال على جملة من كُتُب العرب الأندلسيين، من ذلك: «كتاب المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية، لأبي إسحاق الشاطبي. وهو حُبِسَ على مدرسة يسكنها الطلبة بسوقة القاضي بفرنّاطة»⁵². ولا أدري الآن مصير هذه النسخة التي تكلم عليها علي بن

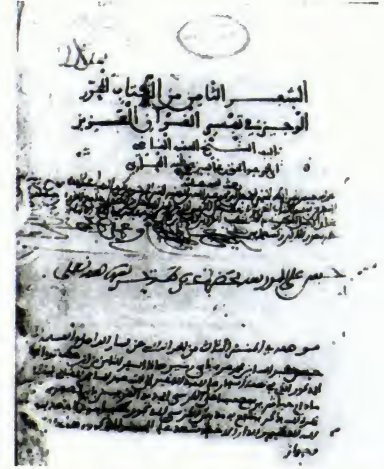
7. أحباس المدرسة

وكما وُجِدَتْ كُتُبٌ مُحَبَّسَةٌ على خزانة المدرسة، فقد كانت للمدرسة أيضاً عدد من الموقوفات من نوع: الحوانيت، والأراضي، والجنات، وغير ذلك من العقار. ذكر ابن الخطيب في ترجمة مؤسس المدرسة السلطان النصري أبي الحجاج يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف ابن نصر الأنصاري الخزرجي (734 هـ - 755 هـ): «وفي أيامه بُنِيَت المدرسة العجيبة بكر المدارس في حضرته، فتمت وكملت أوقافها»⁵⁴. وقال في ترجمة الحاجب رضوان النصري إنه أحدث المدرسة بغرناطة «وسبب إليها الفوائد، ووقف عليها الرباع المغلة»⁵⁵.

وكما هو معروف كانت فوائد هذه الأحباس تُصَرَف على تكاليف عيش الطلبة، ورواتب قوَمَة المدرسة، والعلماء الغرباء المتصدين للإقراء بمدينة غرناطة، وكانت تُسند ولاية أحباس المدرسة إلى أحد العلماء، يذكر ابن الخطيب في ترجمة أبي عبد الله محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الجياني إن أصله من مالقة وكان كثير التردد والمقام بحضرة غرناطة، ثم قال: «وهو الآن بالحالة الموصوفة، مستوطننا حضرة غرناطة، وتاليا الأعشار القرآنية، بين يدي السلطان، أعزه الله، مرقع الجانب، معزز الجراية بولايته أحباس المدرسة»⁵⁶.

ويُستفاد من هذه التراجم والأخبار أن مدرسة غرناطة وُقِّت عليها أملاك كثيرة، والغالب أنها كانت من صنف العقارات، لكن المصادر العربية تخلو من تسمية بعضها كما أن الوثائق الغرناطية التي وصلت إلينا ليس فيها رسمٌ من رسوم أحباسها، ولا رسمٌ يميّن بعض الأملاك المجاورة لها. وفي هذه الحالة لم يبق أمامنا إلا أن نتوجه إلى استشارة سجلات الكنائس الغرناطية، فمن المعروف أنه بعد سقوط غرناطة بيد الملكين الكاثوليكين عام 881 هـ/ 1492 م حلت الكنائس محل المساجد الإسلامية التي كانت قائمة بغرناطة، وتبعاً لذلك صارت في ملكيتها جميع أحباس المساجد والزوايا والرباطات، وقد صاحب هذه العملية استيلاء النصاري على وثائق أحباس المسلمين المكتوبة بالعربية وترجمة مضامينها إلى اللغة القشتالية لكي تتوفر الكنائس على «حجج الحوز»، وقد نُشرت بعض تلك السجلات من قبل مُستعربة إسبانية مرموقة تدعى مَرِيّة دِلْ كَارْمِنْ بِلَانُويَا رِيكُو، بعنوان: «أحباس مساجد مدينة غرناطة وقراها». وبالإطلاع عليها لاحظنا أن

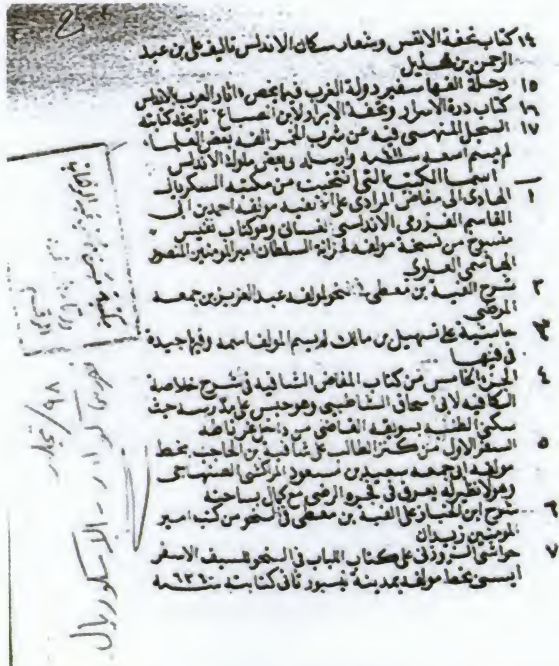
سالم الورداني عام 1304 هـ/ 1887 م، وكل ما أعرفه الآن هو أن كتاب «المقاصد الشافية» لأبي إسحاق الشاطبي قد تم طبعه في عشرة أجزاء⁵³ اعتماداً على عدد من المخطوطات، منها: مخطوطة الإسكوريال التي كُتبت في حياة الشاطبي بخط أندلسي في غاية الجودة إذ إن تاريخ نسخها هو عام 771 هـ، غير أن المحقق لم يهتم بإثبات ما يُمكن أن يكون مسجلاً في أول أوراق هذه النسخة حتى يمكننا معرفة بعض الفوائد الإضافية عن المخطوطة، ففعل نسخة الإسكوريال هذه هي القطعة التي أشار إليها الورداني في «الرحلة الأندلسية» وقال إنها كانت مُحَبَّسَةٌ على مدرسة غرناطة.



الصفحة الأولى من السفر الثامن من كتاب «المحرر الوجيز» لابن عطية. مخطوط خزانة جامع القرويين وفيها نقرا عبارة: «حبس على المدرسة بحضرة غرناطة حرسها الله تعالى



الصفحة الأولى من كتاب «الفوائد» لابن بشكوال مخطوط مكتبة الفاتيكان. وعليها خبيس هذا نصه: «حبس على المدرسة المباركة بمدينة غرناطة حرسها الله تعالى وعمرها بذكره بمنه



صفحة من مخطوط منتقى الكتب العربية بالإسكوريال
للشيخ محمد محمود الشنقيطي تنص على أن كتاب
الكفاية للشاطبي كان محبسا على مدرسة غرناطة

دِيغُو القشتليّ Diego de Castilla⁶¹. وفي نفس السَّجل إشارة إلى حانوت قرب باب البُنود كانت في ملك كنيسة سَانْ خُوَانْ دي لُوس الرِّيس مُلاصقة لأحباس المدرسة⁶².

وفي هذه النصوص تأكيد على أن المدرسة النصرية بغرناطة كانت في ملكيتها العديد من الأحباس، من صنف العقار. ونُشير إلى أننا لم نستفد ذلك إلا من رُسُوم أحباس مساجد غرناطة المترجمة إلى الإسبانية والتي عَيَّنت بعض أحباسها المشتركة مع المدرسة أو المجاورة لأحباسها، ولم نعثر حتى الآن على رسم حُبسي مباشر يخص المدرسة وحدها.

ومن المعروف أيضا أن بناية المدرسة تحوَّلت، بعد خُروج غرناطة من يد المسلمين، إلى مقر المجلس البلدي المسمى في لغتهم: كَاصَا دِيلْ كَايِيلْدُو Casa del Cavildo. ويُستفاد من سجلات هذا المجلس من عام 1497 إلى 1518 أنه كانت للمدرسة مداخل كثيرة، من ذلك ما كُتب في السَّجل يوم 11 مارس 1502: «تَقَرَّر ترك مُستفادات المدرسة. وأعطى الأمر بأن يتولى عُدول المدينة إحصاءها، ثم يقومون بإخْبار [مجلس] المدينة»⁶³. وفي يوم 17 مارس 1514 كُتب في نفس السَّجل ما يأتي: «أسندت إلى كونصالوارنانديث الثغري Gonzalo Hernandez el Zegri مهمة إحصاء عدد الأراضي التي في ملك المدرسة»⁶⁴.

بعض النصوص تُشير إلى بعض أحباس المدرسة. فَمِنْ جُملة الأحباس الإسلامية التي استولت عليها كنيسة سَانْ خِيلْ: حُبْس نصفه لرابطة الحرّة، والنصف الآخر ترجع ملكيته إلى المدرسة. ولكي نقرب من مستفاد المدرسة من هذا الحبس نشير إلى أن مداخل النصف الآخر الذي لرابطة الحرّة هو 137 [مقال] مرابطي⁵⁷:

Una haza en Armilla. es la media de la dicha rabita e la otra media de la Madraza esta arrendada la media en ciento e treinta e siete maravedis e medio

كما نعرف من خلال نص آخر من هذه السَّجلات أن المدرسة كان لها من الأحباس: حانوت، ذُكر في رسم ملكية وَقَف إسلامي استولت عليه كنيسة سَانْ سَالْبَادُور بالبيّازين، فقد جاء فيه أنه كان بحوزتها حانوت يقع أسفل الحمام بجوار حانوت المدرسة وأن خراجها ألف وأربعمائة وأربعين [مقال] مرابطي في كل عام⁵⁸:

Otra tienda abajo del bano linde de tienda de la Madraza esta arrendada en mill e quatrocientos e quarenta maravedis cada ano

وعلى ما يبدو، فالإلى هذا الحانوت الذي كان مُحْبَسًا على المدرسة يُشير رسم وقف آخر استولت عليه كنيسة سان مَرْتِين، إذ جاء فيه أن في ملكيتها حانوت قريب من الحمام بجوار حانوت المدرسة⁵⁹. وفي رسم من سجلات «أحباس مساجد غرناطة وقراها» التي استولت عليها الكنائس الكاثوليكية، وردت الإشارة إلى المدرسة بترجمتها الإسبانية هكذا: Escuela، وفيها أن ثلث عائد الحبس يرجع للمدرسة⁶⁰، غير أنه لا يمكننا أن نجزم بأن المدرسة النصرية هي المقصودة، إذ يحتمل أن يكون القصد إلى مدرسة أخرى، فغالبا ما كان يُشار إلى المدرسة النصرية بلفظها العربي: Madraza La. ونود التذكير بأنه بعد أن قام رُهبان الكنائس الغرناطية بنَسْخ وثائق أحباس المساجد الإسلامية التي أقاموا فيها منشآتهم الجديدة، عرضوا تلك الأحباس على الوقف، ثم أنجزوا لائحة ثانية ضمّت جرداً لجميع العقارات التي صارت بحوزتها. هذا السَّجل اهتمت به أيضا المستعربة مريّة دِلْ كارمن بلانويبا ريكو المذكورة ونشرته بعنوان: «الديار والمساجد والحوانيت التابعة لأحباس كنائس غرناطة»، وقد وجدنا فيه شواهد إضافية حول أحباس المدرسة، من ذلك: حانوت كان بجوار حانوت آخر قرب باب الرِّملة، أسفل الكنيسة القائمة هناك من جهة اليمين، النصف فيها للمدرسة، والنصف الآخر بيد

8. سَقَايَةُ المدرسة

الماء مادة ضرورية في مثل مؤسسة كالمدرسة، لذلك كان بُناء المدارس يحرصون على جلب الماء إليها، وقد كانت لكل مدرسة سَقَايَة خاصة بها يستفيد من مائها الطلبة وغيرهم من عامة الناس، وفي حالة المدرسة النصرية بغرناطة كانت بها سقاية ماء، فقد ذكر ابن الخطيب في ترجمة الحاجب رضوان النَّصْرِي أنه «أحدث المدرسة بغرناطة، ولم تكن بها بعد، وسبب إليها الفوائد، وجلب الماء الكثير إليها من النهر، فأبد سقيه عليها»⁶⁵. ويظهر من هذا أن سَقَايَة المدرسة كان يأتيها الماء -عبر قنوات- من عُيون تقع خارجة أسوار المدينة، وقد وردت الإشارة إلى سقاية المدرسة في سجلات دار الكايلدو التي أنشأها الإسبان في مبنى المدرسة، فهي تُشير إلى أنه في يوم 13 أكتوبر 1517 أعطي الأمر لجيران «بوليانس» بإصلاح خزان سَقَايَة المدرسة⁶⁶. وفي يوم 4 مايو 1566 تمَّ صَرْف 10 دوكادوس (دَكَّة) للعامل الذي رَكَّب باب سقاية المدرسة⁶⁷. وفي يوم 21 يونيو 1566 تمَّ صرف ثمانية عشر ألف [مثقال] مرابطي للبناء ماركوس ارنانديث. نظير العمل الذي قام به في سقاية المدرسة⁶⁸.



قاعة الدرس التي استعملت فيما بعد كمجلس بلديّة غرناطة قبل أن تحوّل إلى كنيسة

الفصل الثاني: المدرسة النَّصْرِيَّة بعد سُقوط غرناطة

كانت بناية المدرسة النصرية تقع في قلب مدينة غرناطة، مفتوحة على «رحبة المسجد الأعظم»، وكان هذا الموقع يُعتبر المركز التجاري الأهمّ لغرناطة الإسلامية في العهد العربي. ومن جهة الجنوب كانت المدرسة وفندق السعيدة المجاور لها يتوجهان نحو زُقَاق السَّقَّاطِين. وبعد التغيرات التي حصلت اثر سقوط غرناطة أصبحت بنايتها تقع بين القصر المعروف بقصر المدرسة وبين الكنيسة الملكية، أما الجامع الأعظم فقد هُدم مبناه لأجل بناء الكتدرائية والكنيسة الملكية، وهو اليوم مُحْتَلًا من قبل كنيسة تسمى: Iglesia del sagrario، في حين أن موضع المدرسة ظل هو نفسه الذي كان بغرناطة النصرية والذي سيصبح فيما بعد يُعرف باسم: دار الكايلدو⁶⁹.

استولى الملكان الكاثوليكيان على بناية المدرسة وقَرَّرا جعلها مقرا لِبَلَدِيَّة المدينة، أو دار الكايلدو بلُغَتهم، وذلك في عام 1500 م. وكان المجلس البلدي قد اتخذ أول الأمر دارا عربية تقع بساحة باب الرِّمْلَة مقرا له، غير أنه في رسالة ملكية مؤرَّخة في 20 شتبر 1500 صدر الأمر بنقل المجلس إلى المدرسة La Madraza ومُلَحَقَاتِهَا⁷⁰. وفي عام 1501 م ضُمَّت إلى المدرسة دار عربية تجاورها كانت في ملك ولد الأمير مولاي الحسن من زوجته ثُرَيَّا والذي تدعوه المدونات الإسبانية بفرناندو الغرناطي Fernando de Granada، وقد أدخل الإسبان العديد من التغييرات على مبنى المدرسة ليصبح تصميمه مناسبا لوظائف مؤسسة جديدة هي الكايلدو (البلدية)، بحيث جاءت فُرْش وسقف بيت الكايلدو مطبوعة بطريقة الفن الموريسكي المدجَّن⁷¹، ويرجع تاريخ هذه الإصلاحات إلى حوالي عام 1513 م. كما صُبِغت جدرانها من طرف فرانسيسكو فرنانديث Francisco Fernandez ونُقِشت عليها كتابات جديدة تُؤرِّخُ لاحتلال غرناطة من قبل الملكين الكاثوليكين⁷². وما بين عام 1554 وعام 1556 شملت المدرسة تغييرات جديدة ومع ذلك احتفظت جُزْئيا بهيئتها الأصلية حسب فرانسيسكو هنريكز دي خوركيرا (ت. 1646 م) الذي قال في وصف دار البلدية:

«دار الكايلدو وبلدية هذه المدينة تقع في أهم موضع تجاري بالمدينة، تحدها الكنيسة الملكية... من جانبها الزقاق الكبير للسقَّاطِين، وتبعد بعشرين خطوة عن القيسارية؛ الدار ليست كبيرة جدا، وأكثر جماليتها تبدو في صنائع الزليج، مع فناء يشتمل على صهريج ماء، وحديقة صغيرة، وإلى الأعلى نجد قاعة الكايلدو... ذات صباغة رائعة. هُنا -حسبما يقال- كان

مجلس الجماعة لدى المسلمين وكانوا يسمونها: Madraza، آخرون يقولون بأنها كانت تستعمل مدرسة لتعليم القرآن، ويحتمل أن تكون قد استُعملت لكليهما معا⁷³.

وواضح من هذا الكلام أن الكاتب لا يعرف معنى كلمة مدرسة وإلا لما ذهب إلى القول بأنها استُعملت للتوظيفتين معا، وهذا نجده كثيرا في النصوص الإسبانية التي دونت في العهد العربي بالأندلس وبعده، وكمثال على هذا نلقى عبارة: El Puente de Alcantara اسماً لعدد من المواضع بإسبانيا، والكلمتين هما: الاسم الإسباني ورديفه العربي (القنطرة).

نرجع إلى بناية المدرسة، ونقول إنها ستخضع في القرن الثامن عشر الميلادي للتجديد بالكامل، طُمست معها جل الملامح العربية للبناء كما نرى ذلك في الشكل الخارجي لواجهتها التي تحتفظ به الآن، وأيضاً في الأشكال الداخلية للدرج وغيره، ويرجع تاريخ هذه التغييرات إلى ما بين عامي 1722م - 1729م⁷⁴. وقد كبرت مدينة غرناطة وتعددت أحيائها، ولم يعد مبنى المدرسة العربية يكفي لاستيعاب احتياجات البلديات وشؤون المقاطعات، فتقرر سنة 1851م تحويل البلدية إلى مبنى آخر هو الذي تحتله بلدية غرناطة حالياً⁷⁵، وصار مبنى المدرسة العربية يُعرف باسم: ديار البلدية القديمة. ثم بيعت لبعض الخواص من عائلة إيشيباريا Echevarria الذي حوّل مبنى المدرسة إلى مخزن للملابس النسائية وأطلق عليه إسم: إيشيباريا إخوان: Echevarria Hermanos⁷⁶. ثم لحق بناية المدرسة إهمال كبير، وباقتراح من البلدية وجامعة غرناطة خضع المبنى لإصلاح وترميم جديد وذلك عام 1939م، وفي عام 1942م اكرتها الدولة الإسبانية وأنشأت في مبناها «معهد الملكين الكاثوليكين» تابعا للمجلس الأعلى للأبحاث العلمية. وبعد الإصلاح الأخير الذي تم عام 1976م أصبح المعهد مستقلا عن المجلس العلمي وجامعة غرناطة.

أما من جهة الآثار العربية الباقية من المدرسة، فإننا نُشير إلى أنه في عام 1860م اكتُشفت الكتابة الرئيسية للمحراب بمسجد المدرسة، وهذا الجانب من المدرسة (أي محراب المسجد) هو الوحيد الذي وصل سالما حتى أيامنا، وقد بقيت زخارفه مخفية ومطموسة منذ أن تمّ تخصيص جدرانها إثر تحويل مسجد المدرسة إلى كنيسة مسيحية، ويقع هذا المحراب قبالة المدخل إلى فناء المدرسة، وللمستعرب أنطونيو ألكارو كريناس بحث جيد حول هذا الاكتشاف⁷⁷. وفي أواسط القرن التاسع عشر شبّ حريق في سقف مسجد المدرسة الذي كان مزخرفا بالمقرنصات فأتى على العديد من الزخارف

الخشبية، ولم يسلم من النار إلا الإفريز. وفي عام 1893م أصلحت المدرسة من قبل المعمار المكلف بقصر الحمراء: ماريانو كُونطَرِيرَاس، وذلك بطلب من مالك المبنى خَوَانْ دِي إَشْبَرِيَا، أما آخر عمليات الإصلاح التي تمت بالمدرسة فقد جرت عام 1976م من طرف المهندس فرانسيسكو برييطو مورينو⁷⁸.

ونشير إلى أنه عند إصلاح بلاطة «ديار البلدية القديمة» في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي لوحظ أنه بداخل بعض اللوحات الرخامية توجد زخارف وكتابات [قرآنية]، كانت تُشكّل القطع التجميلية لأحد جدران المدرسة، وهذه القطع تسمح بإعادة تركيب جانب مهم من الأجزاء الأخرى، وقد صارت هذه القطع في حوزة السيد فُكُونْدُو ريانو الذي أهداها فيما بعد إلى المتحف الأركيولوجي الإقليمي بغرناطة⁷⁹.

نعود إلى التذكير بأنه بعد أن خرجت غرناطة من يد المسلمين أصبحت المراجع القشتالية هي مصدر تاريخ المدرسة النصرية، وقد سبق أن رجعنا إلى سجلات كنائس غرناطة في فصل أحباس المدرسة، ونودُّ هنا أن نضيف إليها بعض الإشارات الأخرى: ورد ذكر المدرسة عرضا في رسم آخر جاء فيه أن من جملة ممتلكات كنيسة سانت مَرِيَّة عقارات تقع قبالة المدرسة⁸⁰. كما وردت الإشارة في رسم حُبسي آخر إلى حانوت تقع أسفل المدرسة العربية Escuela morisca⁸¹. وفي رسم آخر إشارة إلى إصطبل مع غُرْفَة فوقه يقعان بجوار المدرسة العربية⁸². في هذه الحالة يُحتمل أن تكون المدرسة النصرية هي المقصودة في هذه الرسوم، أو قد تكون المدرسة الإسلامية المشار إليه في الرسوم المتقدمة هي إحدى مدارس الموريسكيين⁸³ في الوقت الذي كان لا يزال مسموحا لهم بإنشاء مؤسساتهم الدينية والتعليمية قبل أن يأتي غلاة التشدد الكاثوليكي لنقض العهود والمواثيق.

كما وقعت الإشارة في سجلات الكنائس إلى «مسجد دار الكايليدو»: Casa del Cavildo Mezquita، لا شك أنّ المقصود هنا هو مسجد المدرسة النصرية التي صارت بعد خروج غرناطة من يد المسلمين تسمى بدار الكايليدو: Casa del Cavildo (المجلس البلدي)، وقد جاء في بعض الرسوم أن جامع ابن سعيد جاء متاخلا مع دار الأسقف⁸⁴، ويجوار دار للأحباس يسكنها الكُومِنْدَاوَر⁸⁵، وأن المسجد الذي كان بدار الكايليدو صار بحوزة الأسقف⁸⁶.

والى جانب ظهور المدرسة في سجلات كنائس غرناطة، بدأت

قصر الحمراء وكتابات معالم غرناطية أخرى كالمدرسة. وهذا المخطوط -الذي يتضمّن تسجيلاً للنقوش الكتابية بالمدرسة- هو من وضع الموريسكي الغرناطي ألونسو القشتليو⁸⁸، وقد ظلّ محفوظاً في أرشيف بلدية غرناطة حتى عهد الراهب خوان دي إشبيرة⁸⁹ الذي استطاع إستخراج نسخة منه، استغلّها في كتابه: «جولات عبر غرناطة»⁹⁰، واستعملت فيما بعد من طرف سيمون دي أركوتي Simon de Argote، ثم وصلت النسخة إلى يد ليوبولدو إيكيلاز Leopoldo Eguilaz الذي وضعها تحت تصرف أنطونيو ألماغرو كارديناس Antonio Almagro Cardenas، هذا الأخير توسّع في الاستفادة منها، وذلك في فصلٍ مطوّل عنوانه: «ملاحظات أركيولوجية حول المدرسة أو الجامعة العربية بغرناطة»، ضمن كتابه: «دراسة حول الكتابات العربية بغرناطة»⁹¹. ونظراً لأهمية هذا الكتاب نقل عنه أصحاب «أدلة غرناطة» وكتب الرحلات والنشرات الأثرية غير أن هذه الكتب تضمّنت إشارات متنوعة عن الأشكال الزخرفية ولم تهتم كثيراً بمضمون الكتابات.

واستناداً إلى نسخة الراهب إشبيرة قدّم لنا أنطونيو ألماكو كارديناس بيان عن الكتابات العربية النثرية للمدرسة القديمة مع شيء من الاقتضاب حيناً والاضطراب في ترتيب الكلمات حيناً آخر، لكن لا يصعب علينا -اعتماداً على القطع التي حُفظت بمتحف غرناطة- أن نُعيد تركيب النصوص بشكل صحيح. كانت المدرسة تتضمن الكتابات القرآنية التي سبق أن أوردتها أعلاه ثَمّلاً عن صور القطع الرخامية التي توجد بمتحف غرناطة والتي نشرها ليفي بروفتنصال في كتابه «الكتابات العربية بإسبانيا»، ويبدو أن ثمة كتابات أخرى فُقدت قطعها ولكن نُصوصها حفظت في كتاب أنطونيو ألماكو، وقد سبق أن نقلنا منه في فصل الكتابات العربية بالمدرسة.

ويذكر الراهب داريو كَبَانِيلاس أنه بمقابلة ما كتبه إشبيرة في كتابه «جولات عبر غرناطة» بالنصوص التي نقلها ألماكو في كتابه المذكور يتبيّن أن ثمة نُصوصاً شعرية لم ينقلها ألماكو بنصّها الأصلي، وأضاف أن النص العربي لتلك المقطعات الشعرية يعتبر مفقوداً، وإنما وصلنا خبره من طريق الموريسكي الغرناطي ألونسو القشتليو، في مواضع من يوميات عمّله المسجّلة في مخطوط المكتبة الوطنية بمدريد رقم 7453 والموصوف في فهرسها الذي وضعه فرانسيسكو كيّن رُوبِلِس تحت رقم 598. وعلى ما يفهم من المخطوط فإن الموريسكي الغرناطي كان سيشرح في تسجيل النصوص الشعرية المكتوبة على جدران المدرسة النصرية، وقد قدّم



قطع من اللوحات الكتابية التي كانت على باب المدرسة

المدرسة تبرز في سجلات المجلس البلدي لغرناطة وقتذاك، وقد سبق أن عرضنا بعض الأمثلة على ذلك في فصل أحباس المدرسة وسقائيتها، ونُضيف إلى ذلك أنه وردت -في القسم الثاني من هذه السجلات- الإشارة إلى أنّ المدرسة كانت مجاورة لباب من أبواب أزقة غرناطة يُسمّى: باب الفنسانة، جاء في يومية 3 نونبر 1500 ما يلي: «وقع كراء الباب المسمى بالفنزانة [أو الفنسانة] المحاذي للمدرسة»⁸⁷. ومن المعروف أن بناية المدرسة هي التي تحوّلت إلى مقر المجلس البلدي ومن خلال سجلاته أمكننا الاطلاع على بيانات سائر أشغال ونفقات المجلس، ومن خلال فهرسها المنشور عرفنا أن المدرسة مسّتها العديد من الأشغال، وأنها صارت من المرافق التي يتم تناولها بالإصلاح والصيانة كلما تطلّب الأمر ذلك.

كانت المدرسة العربية بغرناطة من بين المعالم الهامة بالعاصمة النصرية، إلا أنه لم يسلم من بنائها إلا مسجدها الصغير مع محرابه الأنيق، وفضلاً عن أخبار المدرسة التي نلقاها في سجلات الكنائس، والإشارات المتعلقة بأعمال صيانة وإصلاح بنائها التي نجدها في سجلات الكابيلدو، كان في بعض خزائن غرناطة مخطوط سجّلت فيه الكتابات المنقوشة على جدران المدرسة، ولكن هذه الكتابات لم يصلنا منها سوى بيانات قليلة هي التي حُفظت في دفتر مخطوط، نسخ فيه النص العربي (بحروف لاتينية) مع ترجمة إسبانية لتلك النصوص، ويرجع تاريخ هذا المخطوط إلى عهد المترجمين الأوائل للمجلس الغرناطي، والذين بحكم عمّالهم قاموا عام 1556م-1557م بترجمة الكتابات الموجودة داخل نطاق

لها بهذه الكلمات: «استيعاب التاريخ الذي على باب مدرسة العلم من غرناطة وهو الآن دار القبلد في قليبين من الرخام من الشعر من الخشب، نصهما»⁹²، غير أن النصوص لم تثبت في المخطوط المذكور.

وكان الراهب داريو كبايلاص قد تطرّق إلى وصف هذا المخطوط في كتابه الذي وضعه عن تلك الشخصية الموريسكية البارزة والتي شغلت منصب الترجمان الرسمي لفيليب الثاني، وذكر أنه في ظهر الورقة 36 من المخطوط ثبت نص مضمونه أن الإفريز بدار الكابيلدو بمدينة غرناطة المسماة المدرسة به مقطوعة شعرية من 12 بيتا، لكن لم يثبت في المخطوط إلا الثلاثة الأولى التي كانت مكتوبة الباب الرئيسي، وهي هذه:

أنظر إلى روض عجيب المنظر

قد راق حسنا لامحا في المحجر

وتأمل الباب النسيج صناعته

تبدي الجلال بوضعه المتخبر

وادخل عليه للصلاة مبادرا

لتفوز إنعاما بيوم المعشر⁹³

في حين أن الأبيات التسعة الأخرى كانت توجد في رواق الصحن الداخلي، وقد ترجمها الراهب إشبيري ولكن ترجمة ألونصو دي القشتيليو تبدو أقرب إلى النص العربي، وهي الأبيات التي سبق أن أوردناها أعلاه، والتي تبدئ بهذا البيت:

ألا هكذا تبنى المدارس للعلم

ونشير أخيرا إلى أن ثمة مراجع عديدة ورد فيها وصف المدرسة، فبعد الموريسكي ألونصو القشتيليو في القرن السادس عشر توالى الاهتمام بالكتابات والنقوش العربية بالمدرسة النصرية بغرناطة، فكتبت عنها «أدلة مدينة غرناطة» Guias de Granada والنشرات الأثرية للمدينة، وغير ذلك من التأليف؛ ومن الذين تحدثوا في كتبهم عن مدرسة غرناطة: خوصي منويل أوليفر هورطادو⁹⁴ ورفاييل كونطيريراس الذي قال: «المدرسة هي المبنى الذي خصّصه العرب لجامعتهم، وكان يحتل الدار التي تقع قبالة باب الكنيسة الملكية، والتي استعملت مقرا لبلدية المدينة من عام 1500 إلى عام 1861. نعرف بواسطة بدرازا Pedraza ومن طريق مؤرخين آخرين أن الباب العربية للمدرسة كانت من المرمم الأبيض، محلاة بنقوش كتابية على درجة كبيرة من الأهمية لكنها اختفت بالكامل إلى أن اجتاحتها حريق فاكشفت الكثير من تلك النقوش مثبتة على الباب الرئيسي والتي أشير إليها ووصفت من قبل أسلافنا. هذه اللوحات من الرخام الأبيض

اقتنت من قبل السيد ريانو Mr.Riano، الذي ظل محتفظا بها مدة إلى أن سلّمها إلى مديرية المآثر. هذا المبنى كان يستعمل -إذن- مثل أكاديمية أو معهد قرآني، ... عندما ندلف إلى داخل الدار، التي تحولت اليوم إلى معمل للثياب، نلاحظ أن الزخارف البديعة والنقوش الموريسكية الجميلة من العهد الغرناطي الأول لاتزال تزين السقف. هذا المعهد لا يشمل بناية كبيرة جدا غير أنه لم يكن أقل من قصر بُني بناء فخما وبأهمية غير عادية يدل على نفاق العلوم في ذلك العصر، ثم إن الكتابات العربية العديدة ستصبح أكثر عددا حينما تقتلع صفائح الجبس التي تغطيها، وقد تكسر أغلبها مع مرور الوقت، كما ستكتشف قطع الأرابيسك البديعة، ثم نقل كونطيريراس عن مارمول نصا بالإسبانية يبدو أن أصله العربي -المفقود اليوم- كان مكتوبا على أحد جدران المدرسة⁹⁵.

ومنم أيضا أنطونيو الماكرو كريناس في مؤلفه الآخر: «المتحف الغرناطي وآثاره العربية»⁹⁶، ومنهم: أمادور دي لوس ريوس⁹⁷، ومنويل غوميث مورينو في كتابه «دليل غرناطة»، قال: «أسفل الكنيسة القديمة، توجد بناية كبيرة من عمل العرب، هي بلا شك المدرسة التي أشار إليها ابن الخطيب، والتي حوّلت من طرف الملكين الكاثوليكين إلى معهد ديني بعد أن قامت هناك الكتدرائية، وبعد ذلك استعملت كدار البلدية؛ طرف منها هُدم سنة 1541 لأجل إقامة القصر الجديد، وطرف آخر عند بناء الكنيسة. توجد في موضع الكنيسة الكبرى أيضا دار أخرى رئيسية كانت قد استولى عليها القبطان منصيا⁹⁸. ومن الذين تكلموا على المدرسة النصرية أنطونيو طورنس في كتابه: «غرناطة العربية»، قال: «المدرسة: توجد بقايا هذه الجامعة العربية قبالة الكنيسة الملكية، بنيت في عام 1349 من قبل يوسف الأول. وفي عام 1500 حوّل المكان الكاثوليكين مبناها إلى دار البلدية، ومنذ ذلك الحين والإصلاحات تتناول بناية المدرسة إلى أن لم يبق من مبناها القديم إلا المسجد المربع الشكل ومحرايه المزخرف بالكتابات القرآنية، وكذلك جوانبه وسقفه المزين بالمقرنصات، أما واجهة المدرسة فهي حديثة وقد صُغت وعُملت لها طيقان تُعبر عن ذوق الزمن الذي أصلحت فيه، مع فناء ذي طابع أندلسي جميل وجذاب. أيضا العناصر التزيينية للدرج، كل ذلك من عمل المهندس المعماري خوصي دي بادا José de Bada»⁹⁹.

ونختم هذه السلسلة من مؤرخي المدرسة العربية بالإشارة إلى اسم: كايكو بورين الذي تحدث عن المدرسة في كتابه الذي يحمل اسم: «غرناطة»¹⁰⁰. ونشير إلى أن الاهتمام بالمدرسة

بالأندلس وجمعه لمواد كتابه «الجلل السندسية في الأخبار الأندلسية»، ففي إحدى رسائل الأمير شكيب أرسلان التي كتبها بمدينة لوزان السويسرية إلى صديقه الحاج عبد السلام بنونة التطواني المغربي، بتاريخ 31 أكتوبر 1930 م / موافق 1349 هـ يقول فيها :

«ياسيدي أنا فارقتُ غرناطة ومُرادي الرجوع إليها بأول فُرصة، فكيف إذا تيسّر أن تكون أنت هناك. أما المدرسة فقد دلوني على بناية كشفوها جديدا، وقالوا إنها كانت مدرسة، موقعها لا يبعد عن البوسطة في آخر مفرق زقاق إلى الورا بجانب البوسطة، وبوابتها منقوشة عليها الآيات والكتابات، وربما كان ثمة غيرها لم أعلم به»¹⁰¹.
انتهى والحمد لله أولا وأخيرا

العربية بغرناطة من قبل المؤرخين الإسبان لا يزال قائما إلى اليوم، وقبل سنوات قليلة (2007م) أصدرت جامعة غرناطة كتابا يتحدث عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها، يضم عددا من الأبحاث الممتازة :

Rafael Lopez Guzman, Maria Elena Diez Jorje. La Madraza : Pasado. Presente y futuro. Ed.Universidad de Granada. 2007, 344p

أما المؤرخون العرب فلم ترد «المدرسة» في مؤلفات رحّالهم إلى الفردوس المفقود، ولعلّ السبب أنّها لم تكن معروفة حتى لدى الإسبان أنفسهم عدا فئة قليلة من المهتمين بتاريخ غرناطة العربية، ولعلّ أول عربي في الفترة المعاصرة تكلم على مدرسة غرناطة هو الأمير شكيب أرسلان وذلك أثناء تجواله

الحواشي

(*) باحث بمركز عقبة بن نافع للدراسات والأبحاث حول الصحابة والتابعين.

1. روضة الإعلام 2 : 736 غاية النهاية 2 : 401-402
2. وفيات الأعيان 2 : 129
3. السيوطي، حسن المحاضرة 2 : 141
4. الديباج المذهب 1 : 331
5. الصلة 1 : 133
6. النبوغ المغربي في الأدب العربي : 75
7. التشوف إلى رجال التصوف : 89
8. محمد المتوني، أول مدرسة أسست بالمغرب، ملحق جريدة "المغرب"، العدد 8 (عام 1936م) ص. 120
9. الذيل والتكملة 8 : 197-198
10. محمد المتوني، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي، العدد الأول، 1383 هـ / 1964 م، ص. 146-147
11. نفح الطيب 1 : 220-221
12. ترجمته في الإحاطة في أخبار غرناطة 3 : 191-193، وانظر أيضا : Maria Jesus Rubiera Mata. Datos sobre una Madraza en Malaga anterior a la Nasri de Granada. revista AL-ANDALUS. vol. XXXV. Madrid-Granada. 1970. Fasc. 1.p: 223. 226
13. روضة الإعلام 2 : 736 غاية النهاية 2 : 401-402
14. اللوحة البديرة : 109
15. الإحاطة في أخبار غرناطة 1 : 508-509
16. حول الحاجب رضوان، انظر : Luis Seco de Lucena Paredes. El Hayib Ridwan. La Madraza de Granada y las murallas del Albayzin. revista AL-ANDALUS. vol. XXI. Madrid-Granada. 1956. Fasc. 2. p: 285. 296
17. Antonio Almagro Cardenas. Estudio sobre las Inscripciones Arabes de Granada. p. 205 - Lévi-Provençal. Inscriptions Arabes d'Espagne. Paris. 1931. p. 159
18. -Estudio sobre las Inscripciones Arabes de Granada. p. 209
- 212-220. 221

19. Inscriptions Arabes d'Espagne. Paris. 1931. Planche. XXXVII

20. سورة الفتح، الآيات 1-5
21. سورة النور : الآيات 35-37
22. سورة التوبة : الآية 129-130
23. سورة غافر : الآية 65
24. سورة الأحزاب : 56
25. Antonio Almagro Cardenas. Estudio sobre las Inscripciones Arabes de Granada. p. 28
26. نفح الطيب، ج. 5، ص. 457-458
27. نفح الطيب، ج. 6، ص. 482
28. الإحاطة في أخبار غرناطة 2 : 51
29. الكتيبة الكامنة : 96
30. ثبت الوادي أشي : 188
31. رحلة القلصادي : 167-168
32. روضة الإعلام 2 : 736
33. ثبت الوادي أشي : 196-197
34. المقرئ، نفح الطيب 5 : 392
35. الإحاطة في أخبار غرناطة 3 : 75
36. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 3 : 220
37. برنامج المجاري : 119
38. برنامج المجاري : 105-106
39. نفح الطيب 5 : 111
40. لعله يعني كتاب "النهاية والتمام" لأبي الحسن المتيطي .
41. الافادات والانشادات : 152-154
42. الإحاطة في أخبار غرناطة 3 : 35-36
43. الدرر الكامنة 4 : 36
44. الإحاطة في أخبار غرناطة 3 : 324-325 ، البستان في أخبار علماء تلمسان : 292-293
45. غاية النهاية 1 : 82

- اللائحة كانت في رصيد مكتبة الشيخ حسن حسني عبد الوهاب ثم دخلت إلى المكتبة الوطنية بتونس وسُجِّلَت تحت رقم: 18675 ، وهي منشورة بكاملها في الشبكة العنكبوتية من لدن عبد الرحمن بلحاج علي سفير تونس بنواقشوط. وفي دراستنا هذه صورة للصفحة الأولى من المخطوطة حيث وردت الإشارة إلى مدرسة غرناطة.
73. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي. تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان الميثمين. منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة 1428هـ/ 2008م.
74. ابن الخطيب، اللوحة البيرية: 109
75. الإحاطة في أخبار غرناطة 1: 508-509
76. الإحاطة في أخبار غرناطة 3: 199
77. Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada y sus Alquerias. Edición. Introducción E Indices por M^a DEL CARMEN VILLANUEVA RICO. Madrid. 1961. p. 159. N.34
78. Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada. p. 168 N°53
79. Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada. p. 198 N°4
80. Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada. p. 28 N°13. p. 80 N°28. p. 147 N°30
81. Casas. mezquitas y tiendas de los habices de las iglesias de Granada. ed., introd. e indices por Maria del Carmen Villanueva Rico. Madrid. 1966 p. 55 N°130
82. Casas. mezquitas y tiendas de los habices de las iglesias de Granada. p. 73 N°194
83. Rosario Jiménez Vela. Indices de los libros de cabildo del 1518/archivo municipal de Granada. Granada 1497 Granada. 1987. p. 232 N°340
84. Indices de los libros de cabildo del archivo municipal de p. 232 N°542. 1518 /Granada. Granada 1497
85. الإحاطة في أخبار غرناطة 1: 508-509
86. Indices de los libros de cabildo del archivo municipal de p. 404 N°914. 1518 /Granada. Granada 1497
87. Indices de los libros de cabildo del archivo municipal de p. 342 N°511. 1566 /Granada. Granada 1518
88. Ibid. p. 356 N°528
89. Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada y su suerte en la epoca cristiana. revista Cuadernos de La Alhambra. vol.24. Granada. 1988. p. 40
90. Carta Real de merced a la ciudad de Granada determinando la organizacion del Cabildo. ano de mil quinientos. Ed. facsimil. introd. y trascripcion por Luis Moreno Garzon. (Ayuntamiento de Granada. 1984). p. 2
91. Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p. 41 lamina. 1
92. Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p. 41
93. Francisco Henriquez de Jorquera. Anales de Granada. 77-ed. de Antonio Marin Ocete (Granada. 1987). II. p. 76
94. Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p. 42 lamina. II
95. Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p. 43

46. الدرر الكامنة 3: 180
47. الدرر الكامنة 4: 254-255
48. الإحاطة في أخبار غرناطة 3: 78-79
49. غاية النهاية 1: 82-83
50. الدرر الكامنة 1: 121
51. الاعتصام 1: 139-140
52. Rachel Arié. Voyageurs du XV siècle : Grenade la magnifique. revue Qantara. N° 37. automne 2000. p. 39
53. نفع الطيب 5: 211
54. نفع الطيب 5: 214
55. كناسة الدكان بعد انتقال السكان: 155-156
56. جاء في آخر "رحلة القلصادي" المطبوعة: "انتهى التقييد المبارك بحمد الله تعالى وعونه على يدي مقيد نفسه عبيد الله علي بن قاسم بن علي بن محمد ابن أحمد البياضي الأنصاري غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه، بتاريخ يوم السبت الخامس عشر من شهر ربيع الأول الشريف من عام سبعة وسبعين وثمانمائة. [بموافقة الثاني والعشرين من أغسطس الأعجمي 1472 م]. وكان مبدأ نسخه في الشهر الفارط صفر بمدرسة غرناطة أيدها الله".
- وقد وجدت الأستاذ عبد العزيز السائوري يذكر أن أبا الحسن البياضي (ناسخ مخطوطة الرحلة) "دُرَسَ في المدرسة النصرية اليوسفية في غرناطة". (انظر: مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع. 64، ص. 102). فلمله أخذ بما كتبه محقق الرحلة. وقد رجعت إلى الأصل المعتمد في تحقيق رحلة أبي الحسن القلصادي -المسمأة: "تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب" مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط رقم: 1578 - بهدف أخذ صورة من قيد الفراغ الذي بأخر التاليف، فتبين لي أن مُحَقِّق الرحلة الشيخ محمد أبو الأجناب -رحمة الله عليه- أخطأ قراءة كلمة من الجزء الأخير من قيد الفراغ الذي ينبغي أن يكون كالآتي: "وكان مبدأ نسخه في الشهر الفارط صفر بمدينة غرناطة أيدها الله".
57. غاية النهاية، ج. 2، ص. 401-402
58. رحلة القلصادي: 165 ، وابن الجبير هذا من شيوخ ابن الأزرقي الشاعر، أورد المقرئ بعض شعره في أزهار الرياض 3: 302-305
59. سورة النور: الآية 36-37
60. سورة النور: الآية 37
61. سورة البقرة: الآية 152
62. Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p. 45 lamina. 4
63. سورة الأعراف: 53-55
64. سورة آل عمران: 190-191
65. Antonio Almagro Cardenas. El Mihrab de la Madraza granadina recientemente descubiert. Boletin de la Real Academia de la Historia. vol. XXVII (1895). p. 490. 498
66. انظر ترجمته في نيل الابتهاج: 537
67. نفع الطيب 7: 102-105 / أزهار الرياض 1: 55-58
68. فهرس مخطوطات خزانة القرويين 1: 69
69. فهرس مخطوطات خزانة القرويين 1: 67
70. انظر صورة التحببس في الصفحة التالية.
71. ابن بشكوال، الفوائد، 3. أ.
72. علي بن سالم الورداني، الرحلة الأندلسية، جمعها وحققها وقدم لها: عبد الجبار الشريف. الدار التونسية للنشر، تونس. 1984 م، ص. 78. وقد علمت فيما بعد أن لائحة الكتب التي وردت بذيل "الرحلة الأندلسية" للورداني ليست من تصنيفه، وإنما هي من وضع رفيقه في الرحلة الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي (ت. 1322هـ/ 1904 م). ومخطوطة هذه

Antonio Almagro Cardenas. Estudio sobre las Inscripciones . 111
Arabes de Granada. con un apéndice sobre su Madraza o
universidad arabe. imprenta de ventura sabatel. Granada. 1879.
p: 197.222

Dario Cabanelas. Inscripciones de La Alhambra segun . 112
Alonso del Castillo. revista Miscelanea de Estudios Arabes y
Hebraicos. vol.XXV. Granada. 1976. Fasc.1. p.30

Dario Cabanelas. Inscripciones Poetica de La Madraza . 113
Granadina. revista Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos.
vol.XXVI. Granada. 1977. Fasc. 1. p.18

Jose y Manuel Oliver Hurtado. Granada y sus monumentos . 114
arabes. Malaga. 1875. p: 113.114

Rafael Contreras. Etude Descriptive des Monument Arabes de . 115
Grenade.Séville et Cordoue. 4.ed. Madrid. 1889. p: 343.346

Antonio Almagro Cardenas. Museo granadino de . 116
antigüedades arabes. Granada. 1886. p:95.108

Amador de los Rios. Memoria Acerca de Algunas Inscripciones . 117
Arabigas de Espana y Portugal. Madrid. 1883. p:195.199

Manuel Gomez Moreno. Guia de Granada. Granada. 1892. . 118
vol.1. p: 123.124

Antonio Torrén. Granada Arabe. 1ER ed. Granada. 1955. . 119
p.41

Gallego Burin. Granada. Madrid. 1961. p:316.320.120

121 . الطيب بنونة، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شبيب أرسلان
والحاج عبد السلام بنونة، ص. 131 .

Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p.43 .96

Antonio Almagro Cardenas. . El Mihrab de la Madraza .97
granadina recientemente descubierto. Boletin de la Real
Academia de la Historia. vol.XXVII (1895). p.490.498

Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p.43. 44 .98
lamina.III. 45 lamina.IV

Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p.43 .99

Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada p.31 .100
N°32

Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada. p.130 .101
N°18

Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada p.138 .102
N°32

Miguel Lopez. El Colegio de los Ninos Moriscos de Granada . 103
revista Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos. . 1576-1526
vol.XXV. Fasc. 1. Granada. 1976

104 . ويبدو أن دار الأسقف هذه هي مسجد المدرسة كما في رسم آخر. انظر:
Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada. p.137 N°24

Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada. : انظر . 105
p.137 N°25

Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada. : انظر . 106
p.137 N°26

Rosario Jiménez Vela. Indices de los libros de cabildo del . 107
archivo municipal de Granada

Granada. 1987. p.102 N°218. 1518 /Granada 1497

Dario Cabanelas Rodriguez. El Morisco Granadino Alonso . 108
del Castillo. Patronato de la

108-Alhambra y Generalife. Granada. 1991. p.107

109 . انظر ترجمته في:

Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada. p.53 note.81

Juan de Echeverria. Paseos por Granada y sus contornos. . 110
50-T.2. Granada.MDCCCXIV. p.42

المصادر

طبعة بيروت - د.ت
- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب
تحقيق: محمد الأحمد أبو النور، مكتبة دار التراث-القاهرة.
1394هـ/ 1974م.

- ابن مريم، البستان في تاريخ علماء تلمسان
ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر . 1406هـ.

- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الافادات والانشادات
تحقيق: محمد أبو الألفان، مؤسسة الرسالة. 1983م.

- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة
الكافية

تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. منشورات معهد البحوث العلمية
واحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى- مكة المكرمة . 1428هـ/ 2008م.

- أبو القاسم ابن بشكوال، الفوائد مخطوطة مكتبة الفاتيكان رقم : 128
BORG.ARABO

- أحمد بابا التنبكتي، نيل الإتيهاج بتطريز الديباج
تحقيق: عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب-طرابلس الغرب. 2000

- ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس
اعتنى به : صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا-بيروت،
1423هـ/ 2003م.

- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة
تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي - القاهرة. 1973م

- ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان
تحقيق: محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي- القاهرة. 1386هـ/ 1966م.

- ابن الخطيب، الكتبية الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة
تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت. 1983م.

- ابن الخطيب، للمحة البدرية في الدولة النصرية
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت. 1978

- ابن خلكان، وفيات الأعيان
تحقيق: إحسان عباس - دار صادر . بيروت. 1981م

- ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف
تحقيق: أحمد التوفيق. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط. 1984

- ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

Dario Cabanelas. La Madraza Arabe de Granada y su suerte en la epoca cristiana. revista Cuadernos de La Alhambra. vol.24. Granada. 1988

Carta Real de merced a la ciudad de Granada determinando la organizacion del Cabildo. ano de mil quinientos. Ed. facsimil. introd. y trascripcion por Luis . Moreno Garzon. Ayuntamiento de Granada. 1984

Francisco Henriquez de Jorquera. Anales de Granada. ed. de Antonio Marin Ocete (Granada. 1987). T.II

Antonio Almagro Cardenas. « El Mihrab de la Madraza granadina recientemente descubierto ». Boletin de la Real Academia de la Historia. vol.XXVII (1895). p.490 -498

Miguel Lopez. El Colegio de los Ninos Moriscos de Granada (1526- 1576). revista Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos. vol.XXV. Fasc. 1. Granada. 1976

Dario Cabanelas Rodriguez. El Morisco Granadino Alonso del Castillo. Patronato de la Alhambra y Generalife. Granada. 1991

Juan de Echeverria. Paseos por Granaday sus contornos. T.2. Granada. MDCCCXIV

Antonio Almagro Cardenas. Estudio sobre las Inscripciones Arabes de Granada. con un apéndice sobre su Madraza o universidad arabe. imprenta de ventura sabatel. Granada. 1879

Jose y Manuel Oliver Hurtado. Granada y sus monumentos arabes. Malaga. 1875

Dario Cabanelas. Inscripciones Poetica de La Madraza Granadina. revista Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos. vol.XXVI. Granada. 1977. Fasc. 1

Rafael Contreras. Etude Descriptive des Monument Arabes de Grenade. Séville et Cordoue. 4.ed. Madrid. 1889

Antonio Almagro Cardenas. Museo granadino de antigüedades arabes. Granada. 1886

Amador de los Rios. Memoria Acerca de Algunas Inscripciones Arabigas de Espana y Portugal. Madrid. 1883

Manuel Gomez Moreno. Guia de Granada. Granada. 1892. vol. 1

Gallego Burin. Granada. Madrid. 1961

الطيب بنونة. نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شبيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة

مطبعة دار أمل - طنجة. 1980 م.

- السيوطي، حسن المحاضرة

طبعة مصر / د.ت

- الفلصادي، رحلة الفلصادي

تحقيق: محمد أبو الأجفان. الدار التونسية للنشر - تونس. 1978 م

- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي

ج 1-3 . طبعة دار الثقافة

- عبد العزيز الساوري، صناعة المخطوط الأندلسي: البياضي آخر الوافقين في الأندلس

مجلة «آفاق الثقافة والتراث»، العدد. 64، 1430 هـ / 2009 م، ص. 102-119

- علي بن سالم الورداني، الرحلة الأندلسية

جمعها وحققها وقدم لها: عبد الجبار الشريف. الدار التونسية للنشر، تونس. 1984 م.

- المجاري، برنامج المجاري

تحقيق: محمد أبو الأجفان. دار الغرب الإسلامي - بيروت. 1984 م

- محمد بن علي بن الأزرق الحميري الغرناطي، روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام

تحقيق: سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - 1999 م.

- محمد المنوني، أول مدرسة أسست بالمغرب

ملحق جريدة «المغرب للثقافة المغربية»، العدد 8 (عام 1936 م) ص. 120

- محمد المنوني، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني

مجلة البحث العلمي، العدد الأول، 1383 هـ / 1964 م، ص. 131-153

- محمد العابد الفاسي، فهرس مخطوطات خزانة القرويين

الجزء الأول، دار الكتاب. الدار البيضاء. الطبعة الأولى 1399 هـ / 1979 م.

- المقرئ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت. 1982

- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض

ج 1-3، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. مطبعة فضالة - المحمدية. 1978 م

- الوادي أشي، ثبت أبي جعفر أحمد الوادي أشي

تحقيق عبد الله العمراني. دار الغرب الإسلامي - بيروت. 1403 هـ / 1983 م

Madrid-Granada. 1970. Fasc. 1. p.223 -226

Luis Seco de Lucena Paredes. El Hayib Ridwan. La Madraza de Granada y las murallas del Albayzin. revista AL-ANDALUS. vol.XXI. Madrid-Granada. 1956. Fasc.2. p:285 -296

Lévi-Provençal. Inscriptions Arabes d'Espagne. Paris. 1931

Habices de las Mezquitas de la Ciudad de Granada y sus Alquerias. Edicion. Introduction E Indices por M^a DEL CARMEN VILLANUEVA RICO . Madrid. 1961

Casas. mezquitas y tiendas de los habices de las iglesias de Granada. ed., introd. e indices por Maria del Carmen Villanueva Rico. Madrid. 1966

Rosario Jiménez Vela. Indices de los libros de cabildo del archivo municipal de Granada. Granada 1497 / 1518. Granada.1988

Antonio Torrén. Granada Arabe. 1ER ed. Granada.1955

Dario Cabanelas. Inscripciones de La Alhambra segun Alonso del Castillo. revista Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicos. vol.XXV, Fasc.1. Granada.1976

Rachel Arié. Voyageurs du XV siècle. Grenade la magnifique. revue Qantara. N° 37. automne 2000. p.38 -41

Manuel Gomez Moreno. Guia de Granada. Granada. 1892. vol.1-2

Rosario Jiménez Vela. Indices de los libros de cabildo - del archivo municipal de Granada. Granada 1518 / 1566. Granada.1987

سلسلة مشاهير علماء الغرب الإسلامي

من السلاسل العلمية التي يصدرها مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء، وتسعى إلى التعريف بكبار علماء الغرب الإسلامي، والكشف عن سيرهم، وبيان فضلهم ومناقبهم، واستقراء إنتاجهم الفكري، وإبراز منهجهم في التربية والتعليم، والإصلاح والتنوير، وذلك في قالب علمي رصين، وبحث منهجي دقيق، وأسلوب رائع، ولأجل هذا عمد المركز إلى مراسلة عدد من السادة الأساتذة الذين يرى فيهم القدرة على تحقيق هذا المطلب، وقد صدر منها إلى وقت صدور هذه المجلة أربعة كُتُبات: «الإمام القرطبي المفسر.. سيرته من تأليفه» للدكتور محمد بنشريفة، و«أبو الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي: الحافظ الرَّحَّال (ت633هـ)»، للدكتور أنس وجاج، و«أبو الحسن الصُّغَيْر.. رائد المدرسة المالكية بالمغرب الأقصى»، للدكتور أمين الناجي، و«محمد بن سليمان الروداني حكيم الإسلام ومفخرة المغرب (1037هـ - 1094هـ)»، للدكتور المصطفى بن عمر المسلوتي.

